صراحة

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2347) السنة الثامنة

الخميس (29) كانون الاول 2011

محمد الملا عبد الكريم

8

محمد الملا عبد الكريم
عاشق بغداد الوفي

كاتب ومثقف وصحفي كردي معروف، كان ومازال يحمل على أكتافه هموم الوطن والغربة وهموم الثقافة والمثقفين، ومناضل نقش اسمه على حجارة السجون، وكم من مرة حملت تلك الأحجار معاناته وارهاصاته، صرخ بوجه الظلم والأنظمة السابقة بقلمه وأفكاره، وكم من مرة حمل روحه بكفيه متمرداً على الواقع المر ومطالباً بتغييره.. انسان رائع قلبه كبير يتسع للعالم جميعاً، زاهد لا يطلب الكثير من متاع الدنيا سوى صحته. فلسفته في الحياة ان يعطي ولا يأخذ.. يحلم بعالم خال من الحقد والعنف والطمع.. انه الإنسان الرائع والأديب محمد عبدالكريم المدرس الذي منحنا الوقت لحوار طويل استعرضنا فيه تجربته ومعاناته وسيرته الذاتية وحتى حياته الشخصية

محمد الملا عبد الكريم

استهوتني الصحافة.. ثم السياسة التي جرتني بدورها الى السجون ثم الإختفاء في العهد البعثي البغيض!!

حاوره خالد احمد رشيد

رغم معاناته مع المرض وصراعه مع الورقة والقلم لأن نظره ماعاد يساعده على الكتابة، ولكنه مصر رغم ذلك بالأستمرار على العطاء وان يقدم ما يجب عليه فعله حتى آخر لحظة.. بل دقيقة.. بل ثانية.. حيث تحدث وقال:

إني محمد الملا عبدالكريم المدرس، ولدت في ١٩٣١/٨/١٤ في قرية بياره الواقعة على الحدود العراقية – الإيرانية في سفوح جبل هورامان، وهي مقسمة منذ تخطيط الحدود بين العراق وإيران أوائل تأسيس الدولة العراقية. فبعض منازلها تقع داخل القطاع الايراني، بينما تقع بعض بساتين أصحاب تلك المنازل في القطاع العراقي وأكثرها على العكس، وكثيراً ما كان يضطر أصحاب تلك البساتين في كلا القطاعين الى الحصول على رخصة إقامة في بعض شهور السنة حيث تقع بساتينهم، من أجل رعايتها وجني ثمارها.

فتأمل ما فعلته السياسة المعادية لأماني الشعوب بمصائر أولئك المواطنين الكرد، ولعن الله ما بنوا من حدود فاصلة وجدران وهمية نظراً ووقاعية عمال، على أرض شعب مقسم مقطع الأوصال هو ووطنه.

ويضيف المدرس: وقرية بياره تابعة لناحية خورمال في قضاء حلبجة بمحافظة السليمانية في كردستان العراق، وكانت تشتهر بخانقاهها العامرة على مر السنين بعشرات المتصوفة التابعين للطريقة النقشبندية وبمدرستها الحافلة بعشرات الطلبة القادمين من مختلف أصقاع كردستان والبلاد المجاورة ومن مختلف المستويات الدراسية أيام كان والدي المرحوم الملا عبدالكريم المدرس يسكن هناك وقبله أيضاً غيره منذ عشرات السنين.

ويستطرد المدرس بقوله: في هذه القرية ولدت، كما ذكرت، وفيها نشأت وفيها درست معظم سني دراستي الدينية، الى أن تركها والدي أسباب تتعلق بنا نحن وأخي الأكبر "فاتح رحمه الله" من سلوك ملك ديني متحرر لا يروق لمشايخ الطريقة وكانوا يظنونه مضراً بجوانب من مصالحهم. وكنت طوال تلك السنين أدرس على يد والدي بأستثناء سنة أو سنتين درست خلالهما القرآن الكريم وبعض الكتب الأولية باللغتين الكردية والفارسية ومبادئ الخط لدى أحد ملالي الكتاتيب. وبعد أن انتقلنا الى السليمانية حيث تعين والدي مدرساً في "مدرسة حاجي حان" الدينية واصلت دراستي الدينية لدى الوالد الى أن اكملت المنهاج المقرر دون أن يروق لي الأنتماء الى مسلك علماء الدين، فقد استهوتني الصحافة وفيما بعد وعن طريقها السياسة التي جرتني بدورها الى سجون "العهد الملكي" وفيما بعد الى سجون "العهد العارفي" والى الأختفاء في "العهد البعثي البغيض الأول". أما الصحافة، فقد تعرفت عليها وعشقتها عن طريق العدد الكبير من الصحف اليومية التي كانت ترد من بغداد الى ديوان شيخ الطريقة النقشبندية المرحوم علاء الدين العمري العثماني، فكنت اتلقفها ممن يأتون بها من حلبجة قبل أن يوصلوها الى من ترسل اليه فأطالعها وأنقلها فيما بعد الى صاحبها الذي قلما كان يلقي نظرة عليها، وكذلك من المجلات الاسلامية التي كان والدي مشتركا في بعضها، كما من طريق المجلات الثقافية والسياسية "السرية والعلنية" التي كان يحصل عليها نفر من معلمي مدرسة بياره الابتدائية والوطنيين الواعين. وهذه الهواية هي بالذات ما دفعتني الى اصدار مجلة دينية سياسية باسم (العروة الوثقى) اقتباسا من مجلة السيد الأفغاني التي اصدرها في باريس بهذا الاسم، وقد واصلت اصدار هذه المجلة بخط يدي وبنسخة واحدة ستة كاملة.

وشد ما يؤسفني اليوم انني جعلت اعداد هذه المجلة الأثني عشر التي لم يطلع على عدد منها أحد سواي، جعلتها وقودا للهيب النار عندما تركنا "بياره" لنقيم في السليمانية، كما ذكرت، وكان يخيل لي ان شرطة العراق كلها على علم بهذا السر الذي لا يعرف عنه شيئا احد سواي، وانها ستأتي لتلقي القبض على جراء هذه الفعلة الصحفية.!

ويؤكد المدرس قائلاً: وهكذا يتضح أنني لم أدخل المدارس الحكومية الاعتيادية ولو لصف واحد فقط، ولذلك فاني لا احمل اي شهادة مدرسية من اي منها، ولكني بحكم دراستي الدينية احمل شهادة الصف الثاني عشر، وهي آخر شهادة ينالها المرء فيها وتعد بمثابة الشهادة الاعدادية، وقد نلتها من المعهد الاسلامي في السليمانية، وكانت تؤهلني للدخول في كلية مثل كلية الشريعة والحصول على البكالوريوس منها بل وحتى لنيل الماجستير والدكتوراه فيما بعد بحكم مستواي الدراسي وثقافتي الدينية والعربية العالية، وحتى ان العلامة المرحوم الشيخ امجد الزهاوي أستأذن والدي ليسمح له بأن يبعثني الى الأزهر في مصر، وأعتقد انه رحمه الله كان يرمي من وراء استئذانه هذا الى ابقائي في حظيرة العمل الديني، الا انني وبدافع من تطرف يساري رفضت رغبته هذه، دون ان انتبه الى انه يمكنني الجمع فيما بعد بين حمل شهادة عالية وممارسة السياسة اليسارية التي لم يتغير موقفي منها عنه آنذاك وحتى اليوم، ولا أظنه يتغير خلال ما تبقى لي من عمر أوشك على الانتهاء بعد ما أقتربت من اكمال العقد الثامن منه.

وعن التكوين والتأثير العائلي يقول المدرس: تكوني العائلي تكون اسلامي في الاساس كما أسلفت. فوالدي هو من تحدثت عنه وعرفتموه جيداً، ووالدتي، رغم انها رحمها الله كانت امرأة امية، الا أنها كانت من عائلة دينية وعلمية عريقة هي عائلة مشايخ المردوخيين الذين انحدروا قبل عدة قرون من القطاع الايراني من "هورامان في كردستان الايرانية" الى القطاع العثماني ونبغ من بينهم في كلا القطاعين وعلى مر السنين علماء دين كبار هم من "مفاخر الحركة العلمية في كردستان" بقطاعيها الأيراني والعثماني، والبيئة التي تربيت وترعرعت فيها هي الأخرى بيئة دينية هي "خانقاه بياره" ومدرستها بمن كان فيها من صوفية وطلاب علم وعلماء زوار. وفيما بعد اذ انتقلنا الى السليمانية، كنت على صلة وثقى بمناخ علماء الدين وطلبته ومدارسهم رغم انني انخرطت هناك مبكرا في صفوف الحركة الوطنية التقدمية وكنت من انشط المناضلين في صفوف حركة السلم خلال عامي ١٩٥٣ و ١٩٥٤، ومن الذين اسهموا اسهاما كبيرا في تأسيس اتحاد لطلبة العلوم الدينية (فقي) يقودهم ويوجههم الى ما فيه خيرهم سياسيا وثقافيا ومهنياً، وقد اصدرنا لهم مجلة بخط اليد سميناها (ده نكى فقي) اي صوت طالب العلوم الدينية، وكانت تصدر شهرياً وتوزع في العديد من مناطق محافظات السليمانية وديالى وكركوك وأربيل وكان لها دور كبير في توجيههم مما دفع الكثيرين منهم الى الانخراط في المدارس الرسمية المسائية اضافة الى دراستهم الدينية

ودفع بعضهم الى دخول كلية الشريعة ومنهم من سافر الى مصر للأنتساب الى الأزهر، بل وحتى الى الانتماء السياسي الى احد الحزبين الوطنيين العاملين على الساحة الكردستانية الحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكردستاني.

ويتنهد المدرس ويصمت ثم يقول: أما عن السجن والاعتقال، فقد اعتقلت لأول مرة في أعقاب تولي نوري السعيد وزارة جديدة وبدء حملة شرسة جديدة من التوقيف والسجن والملاحقة والتشريد للشيوعيين والبارتيين وانصارهم وانصار السلم وغيرهم من الوطنيين والديمقراطيين تمهيدا لادخال العراق في "الحلف التركي – الباكستاني" الذي ظهر الى الوجود الفعلي والقانوني تحت اسم "ميثاق بغداد" وانخرط فيه اضافة الى تركيا والباكستان كل من العراق وايران وبريطانيا والولايات المتحدة أيضاً بصورة ملتوية. حكم عليّ اثر اعتقالي الأول هذا على خلفية نشاطاتي في حركة السلم بتقديم كفالة شخصية للحفاظ على ما كانوا يسمونه "حسن السلوك والسيرة والمحافظة على الأمن" لمدة سنة وعند الأخلال بالتعهد فقضاء مدة السنة في السجن. وفي الشهر الرابع العام ١٩٥٥ اعتقلت مجددا بتهمة "اعتناق الشيوعية والانتماء الى الحزب الشيوعي العراقي" وحكم عليّ بالسجن لمدة سنتين وبالوضع تحت مراقبة الشرطة لمدة سنة ونصف، وقد خفض هذان الحكمان فيما بعد من قبل محكمة استئناف منطقة كركوك الى السجن لمدة سنة ومراقبة الشرطة لمدة سنة أخرى. وقد قضيت السنة الأولى في سجن بعقوبة الذي خضنا فيه إضرابا عن الطعام لسوء أوضاعنا في السجن في تموز من العام نفسه لمدة ٢٣ يوماً، وقضيت سنة المراقبة في منفى بدرة. وعندما اكملت المحكومية الثانية أيضاً أعدت الى السليمانية وأبقيت في التوقيف حوالي شهرين وقدمت الى محاكمة جائرة اخرى بتهمة الأخلال بالأمن والخطورة على المجتمع "مجتمعهم ونظامهم بالطبع" فحكم عليّ بتقديم كفالة شخصية لمدة سنة او دخول السجن للمدة نفسها فقدمت الكفيل وخرجت من التوقيف وأبعدت من السليمانية في اليوم نفسه فسافرت الى كركوك حيث أهلي وعائلتي بعد ان نقل متصرف السليمانية عمر علي والدي منها اثر اعتقالي الثاني في ربيع ١٩٥٥.

ويسترسل قائلاً: ومادمنا نتحدث عن فترات السجن والأعتقال، عليّ أن أذكر انني جرى التحقيق معي وقدمت الى المحاكمة بتهمة التوقيع على "نداء للسلم في كردستان" مع شخصيات وطنية اخرى في عهد المرحوم عبدالكريم قاسم، ولكن القضية ظلت معلقة الى ما بعد انقلاب شباط المشؤوم فدعيت وسائر الذين لم يكونوا رهن الاعتقال ممن جرى التحقيق معهم في القضية من قبل الى ان نسلم انفسنا للسلطات لتجري لنا محاكمة، ولكن أحداً لم يسلم نفسه فسمعة السلوك البعثي كانت من الرداءة بحيث لا يجد أحد أدنى درجة من الأطمئنان في تحقيقاته ومحاكماته. وقد أغلقت هذه القضية بعد أتفاقية شباط بين الثورة الكردية وحكومة عبدالسلام عارف في شباط ١٩٦٤ بشأن وقف الحرب في كردستان.

وفي تموز من العام نفسه ألقي القبض عليّ للمرة الثالثة وبعد حوالي سنتين قضيتها في مختلف المواقف والسجون قدمت الى المحاكمة وحكم علي بالحبس لمدة خمس سنوات وبالوضع تحت مراقبة الشرطة لمدة ثلاث سنوات، وقد قضيت من مدة السجن ثلاث سنوات ومن مدة المراقبة أكثر من سنة، أما بقية مدة السجن فقد ذهبت ادراج الرياح بعد صدور مرسوم جمهوري بالعفو عني بجهود مشكورة بذلها المناضل جلال الطالباني لدى حكومة المرحوم عبدالرحمن عارف. وأما بقية مدة المراقبة فقد ألغيت بالعفو العام الذي صدر عن المحكومين السياسيين بعد انقلاب تموز ١٩٦٨.

هذا كل ما لديّ من محكوميات. بقي أن أذكر إنني اعتقلت مرة أخرى في أيام البعث الثاني في أيار من العام ١٩٧٩ خلال الحملة الهوجاء التي شنها البعث على الشيوعيين وأصدقائهم عشية انفراط ما سمي دونما وجه حق، الجبهة الوطنية والقومية التقدمية، وشملت آلاف الوطنيين والديمقراطيين أيضاً تمهيداً لأنقلاب صدام حسين على البكر ونخبة من كوادر البعث القيادية واعدامهم، لتولي بنفسه ما أطلق عليه قيادة الحزب والدولة.

وعن تأثير العائلة ومحيطها في تكوين شخصيته يقول المدرس: أما عن تأثيرات والدي على شخصيتي أنا، فرغم إنني لم اشأ الأنخراط في السلك الديني وان كنت قد أكملت الدراسة الدينية المتداولة في كردستان، ورغم أن السبيل تفرق بي عما كان يسلكه والدي المرحوم، ورغم انني كنت أنأى بنفسي عن الحضور في مجالسه الا فيما ندر، ورغم انني كنت أقول امامه على الدوام انني لا اؤمن بأن النصح يمكن أن يفيد أحدا، وان الدهر وحده الذي يجعل المرء يقتنع بصواب اي فكرة يعتنقها او أي سلوك يسلكه، فإنني أرى نفسي مدينا بالعديد مما أراه في نفسي من خصال حميدة، إن كنت أمتلك شيئاً منها، للأقتداء بوالدي. وخلال السنتين اللتين مضتا على وفاته "رحمه الله"، ازداد اقتناعاً، يوما بعد يوم، بصواب الكثير من الملاحظات التي كان يبديها لي وما كنت آخذ الكثير منها مأخذ الجد. ولا يسعني الآن أن أكتفي بالقول أنها كثيرة وذات أهمية، وتتبدى لي على الدوام كم كان صائبا ومصيبا في كثير مما كان ينصحني به، وكم اراني ملزما بالاصغاء اليه واستذكار ما كان يتحفني به من نصائح بين الحين والحين، ولو بعد فوات أوان الكثير منها..

× في اي مرحلة من مراحل العمر بدأت رحلة الكتابة والمشوار الثقافي، وما هو أول عمل ثقافي أنجزته؟

يقول المدرس: خطواتي الأولى في الكتابة كانت باللغة العربية، وكانت خطوتي الأولى منها في العام ١٩٤٩ بكتابة سؤال اقتصادي موجز قدمته الى جريدة (النداء) البغدادية، وكانت إجابة المحرر عليه يدل على عدم إلحاقه بالموضوع كما كان شأني أنا، ثم نشرت قطعتين شعبيتين عن السلام في جريدة (العصور) أو (الزهور) – لا أتذكر اسم الجريدة بالضبط – وفيما بعد نشرت مقالا استغرق عموداً في جريدة (النداء) أيضاً، اعقبه مقال عن تزوير الانتخابات عام ١٩٥٤ في حلبجة ارسلته الى جريدة (الأهالي) أو احدى أخواتها التي كانت تصدر يومذاك (صوت الأهالي، أو صدى الأهالي، او نداء الأهالي، لا أتذكر الأسم بالضبط). وقد وقع في "أيدي رجال الأمن العام" في إحدى مداهماتهم لمقر الجريدة، بعد حملة إغلاق الصحف وتعطيل الأحزاب والجمعيات والنوادي، من قبل حكومة نوري السعيد التي جيئ بها لغرض حلف بغداد.

ويضيف المدرس: أما بدئي الكتابة باللغة الكردية، فقد كان في جريدة (زين) التي تولى تحريرها في أواخر العام ١٩٥٢ "الشاعر عبدالله كوران" وانضممت اليه بعد إلتحاقي بحركة السلم ولجنتها العاملة في السليمانية. كما الفت كتاباً نقدياً في العام ١٩٥١ و ١٩٥٢ لمفاهيم غير علمية منسوبة الى الدين، ولم اشأ حتى الآن ان افكر في طبعه وهو في رأي يستحق النشر، ولست أدري هل يتسنى لي أن أنشره يوماً ما أم لا؟ أما أول عمل ثقافي مؤثر أنجزته فقد كان دراسة عن شاعر النهضة الفكرية والسياسية والأجتماعية في كردستان "حاجي قادرى كويى" الذي توفي في اسطنبول في العام ١٨٩٧. وقد أطلعت للمرة الأولى على مجموعتيه الشعريتين اللتين طبع الأولى منهما عبدالرحمن سعيد العام ١٩٢٥ والثانية كيوى موكرياني العام ١٩٥٣، وكان ذلك في العام ١٩٥٧. وقد كتبت دراسة عن شعره بأعتباره "شاعر مرحلة جديدة في حياة الشعب الكردي". وهذه الدراسة وان كانت جد موجزة وحصيلة مستوى الثقافي والفكري يومذاك، الا انها أكثر شمولية من كل ما كتب عنه من حيث المواضيع التي تتضمنها، ولذلك أمل أن تنال الطبعة المزيدة من الدراسة التي هي الان على وشك الصدور، ما قد تستحق من إهتمام من لدن قراء أيامنا هذه بين مثقفي شعبنا الكردي.

من هي الشخصية التي اثرت في كيانكم أدبياً وسياسياً وشخصياً؟ وهل هناك انعكاس وتأثير على كتاباتكم من تأثيرها؟

يقول المدرس: لا أستطيع القول انني الآن، ومنذ أمد طويل من الكتابة الأدبية والثقافية والصحفية، واقع تحت تأثير اي شخصية أدبية أو سياسية بعينها او ان هناك انعكاسا لها ولكتاباتها وتأثيرا في كتاباتي بأستثناء القرآن الكريم في العربية والأمثال الشعبية في الكردية، ولكن ما من ضير في استعراض أسماء أشخاص وعناوين كتب كانت مؤثرة فيّ فيما مضى أو كنت قد أعجبت بها وتركت تأثيرات في نفسي وقد تكون لها بقايا فيّ حتى الوقت الراهن. ففي المرحلة الأولى من بدء مراحلي الثقافية كشخصيته مستقلة قائمة بذاتها، كنت الى حد كبير تحت تأثير السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده المصري ومازلت أقدرهما وأنظر اليهما بأحترام عميق. وفي تلك الحقبة المبكرة من تطوري الفكري كنت أبذل جهود كبيرة من أجل الحصول على مؤلفاتهما وقد جمعت النقود رغم قلة حصولي عليها واشتريت كتب (الرد على الدهريين) للأفغاني و(رسالة التوحيد) و (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) لمحمد عبده و (تفسير المنار) على هدى آراء الأخير وأفكاره للشيخ محمد رشيد رضا، وعلى هداهما قرأت (العدالة الأجتماعية في الاسلام) لسيد القطب ونظائر له عديدة لآخرين. وعلى هذا النسق قرأت سلسلة أعلام الحرية "لقدري قلعجي" وسلسلة تأريخ الاسلام لأحمد أمين، وفيما بعد اذ تجاوزت المحور السابق من الكتب الى عالم القصص والروايات قرأت (الدكتور ابراهيم) لدنوب أيوب و (الأم) لمكسيم كوركي وكثيراً من القصص التقدمية التي كانت تصدر عن دار العلم للملايين وهلم جرا، كما كنت أتتبع مؤلفات "الدكتور جورج حنا". ومع انني كنت أتابع أدبيات الحزب الشيوعي العراقي الا انني لم أكن أستطيع الحصول على كتب "ماركسية ولينينية" لعدم وجودها في السوق والحظر الرسمي الشديد المفروض عليها وعدم تمكني من الحصول عليها لدى من قد يمتلكونها، فيما عدا الكراريس والكتب القليلة التي كان يصدرها الحزب.

ويضيف: وفي عالم الشعر كانت ومازالت تستهويني دواوين شاعر العرب الأكبر الفقيد "محمد مهدي الجواهري"، حتى انني عندما اخذت الى سجن بعقوبة في العام ١٩٥٥ أخذت معي الجزئين الأول والثاني المتوفرين عندي يومذاك من ديوانه وكنت أحفظ قدراً كبيراً مما فيهما، وقد سطت عليهما الأدارة عندما شنت علينا هجومها الوحشي في تموز من تلك السنة والذي أدى الى إضرابنا عن الطعام الذي إستمر ٢٣ يوماً ونصف يوم كما أشرت الى ذلك من قبل. وأشد من تأثرت بشعرهم في الكردية الشاعر المبدع "عبدالله كوران والشاعر عبدالرحيم مولوي"، وقد يلاحظ المتتبع آثار "كوران" في القليل الذي نظمته من الشعر.

ويستطرد قائلاً: ومن أشد الروايات التي تأثرت بها ثلاثة هي (الشيخ والبحر) لهمنغواي و(العقب الحديدية) لجاك لندن و (الساعة الخامسة والعشرون) للروائي كونستانتان جورجيو. فقد انجزت قراءة الشيخ والبحر في أحد أيام نيسان ١٩٥٥ وفي اليوم التالي ألقي القبض عليّ، وفيما كنت "أتعرض لعذاب جلاوزة الأمن في السليمانية"، كنت أتذكر العزيمة القوية لشيخ همنغواي وهو يصارع حيتان البحر لتخليص صيده من بين انيابها والوصول به الى الساحل، وكان ذلك مما يمنحني المزيد من القوة لمجابهة ما كنت أكابده، اذ لم يكن قد سبق إلى التعرض الى مثل تلك المواقف الصعبة اذ كان أدنى انزلاق مني يؤدي الى تحطيم كل ما كنت اعتز به من كرامة وطنية وتأريخ سياسي نضالي. وعندما حدث انقلاب شباط الفاشي في شباط ١٩٦٣ كنت منشغلا بقراءة العقب الحديدية لجاك لندن، وكنت اسمع أنباء ما كان يتعرض له مناضلو شعبنا من وحشية البعث، فكان ما يعانيه القس المصلح في الرواية وموقفه منه خير عون لي لتلقي كل ما يطرق سمعي من أنباء سيئة برباطة جأش. في تلك الفترة نفسها قرأت رواية (الساعة الخامسة والعشرون). وحسب فهمي كان يتنازعني اذ ذاك أمران روعة تعبير الكاتب عما كان يعانيه ضحايا الفاشية وهم في معتقلهم وعداؤه الشديد للشيوعية ووضعه اياها في ميزان واحد مع الفاشية التي كان هو نفسه أحد ضحاياها، وكثيراً ما قررت في تلك الأيام ان أرمي الرواية وسط لهيب النار بعد الأنتهاء من قراءتها، ولكني عندما كنت أتذكر ابداعه الأدبي الكبير وتأثيره البالغ في نفسي أطرد تلك الفكرة عني حتى تركتها نهائياً وماتزال الرواية موجودة في رفوف كتبي الأدبية.

في المجال السياسي تأثرت كثيراً بالقليل الذي قرأته "لماركس وانجلز ولينين". في الأولين أراني معجبا غاية الأعجاب بأحسن صفاتهما وهي في رأيي تواضعهما الجم وعزوفهما عن البت بأن الحق في جانبهما، وفي الثالث أكن أكبر الأعجاب لعدم مهادنته مع خصومه العقائديين، وقد يبدو هذا متناقضا مع وجه إعجابي بالأولين، الا انني اجد فيه اي تناقض حقيقي، كما ان علينا ان لا ننسى أن الأولين كانا رجلي نظرية، أما الثالث فقد كان يمارس السياسة على أرض الواقع، وشتان ما بين الموقفين.

ويضيف المدرس: على النطاق المحلي فأنا أكن التقدير الكبير لشخصية الرفيق يوسف سلمان يوسف (فهد) وكتاباته السياسية وحرصه الشديد المتوازي على تقوية حزبه وتقوية الحركة الوطنية عموماً في أن واحد، ودقته البالغة في تشخيص الأهداف الوطنية العراقية التي لخصها في الشعار الخالد "وطن حر وشعب سعيد" وانني أرى بؤسه الشديد يكمن في أنه ظهر في زمن كان الجمود الستاليني هو الطاغي على حياة الأحزاب الشيوعية. ولو انه قبض له ان يقود الحزب الشيوعي العراقي في عصر كعصرنا لقدر له أن يحرز أكثر بكثير مما أحرز من نجاح سواء في المجال التنظيمي أو السياسي وتمتع بقدر جد كبير من حرية الأبداع في العمل الحزبي.

ويضيف: أعود الى مجال الأدب والأدب الكردي بالذات لأعبر عن شديد أعجابي بلغة عبدالله حسن زاده الكاتب الكردي الأيراني والكاتب الكردي العراقي ابراهيم أحمد والقصص القصيرة التي كتبها علاء الدين السجادي ونشرها على صفحات (كلاويز).

وفي محور آخر أشرت اليه من قبل عليّ أن لا أنسى اشتداد تأثري بأستمرار بروعة الأدب القرآني الذي أؤمن بأنه رائعة الأدب العربي. ولهذا فشد ما أفرح عندما أجد آية قرآنية كريمة أضمنها مقالة سياسية أكتبها لصحيفة، وشد ما أتمنى لو كنت أحفظ القرآن ولو كان في لغتنا الكردية أيضاً نظير له لأستفيد منه في كتاباتي الأدبية والسياسية.

×كيف تجدون الوضع الثقافي اليوم وما هي توقعاتكم الشخصية عن مستقبله؟

يقول المدرس: رغم وجود اتحاد الادباء العراقيين ورغم وجود منظمات وأخرى من جريدة التآخي للغرض نفسه.

وفي موسكو كان في انتظاري موفدان كل منهما عن واحدة من الجهتين اللتين منحتاني الزمالة.

اخترت الأولى منهما ودخلت معهد العلوم الاجتماعية وسرعان ماندمت على ما فعلت، دون اي مساس بالجهة التي حصلت لي على الزمالة، ويرجع سبب الندم الى انني كنت اريد الوصول الى موسكو لتعلم اللغة الروسية لعمق اعجابي بالأدب الروسي، ولو أخترت الثانية لأرسلوني الى خارج العاصمة حيث لا يوجد الا المواطنون الروس، مما يجعلني أتعلم اللغة بالضرورة اذ لا لغة سواها اتفاهم بها مع اي احد. لقد خرجت عن الموضوع، ولكنني رأيت ذلك ضرورياً لانني أردت ان ابين حقيقة ما جرى.

ويضيف:

أما على النطاق المحلي، فقد شاركت في أكثر من المحافل الأدبية والثقافية التي أقيمت بعد ثورة الرابع عشر من تموز، عن جدارة، ذلك لأن شيئاً من التغير قد طرأ على الظروف من جهة، ولأن الهيئات الشعبية التي كانت تقيم تلك المحافل ما كانت تريد ان تتجاهلني من جهة أخرى.

أضف الى ذلك انني كنت قد فرضت نفسي بروحيتي الأقتحامية المتحدية على الساحة الأدبية والثقافية منذ السبعينيات والتي كان الكثيرون ينأون بأنفسهم عن دخولها "تحاشياً لبطش النظام الدكتاتوري" الذي كان من المتوقع ان يلحق بأي احد يبدي رأيا حراً، في اي لحظة. غير ان ذلك أيضاً لم يكن امراً ثابتاً على الدوام، فالمقاييس السابقة ظلت ومازالت تعمل عملها وان بقدر أقل.

واليوم فإن تردي حالتي الصحية يجعلني أشبه برهين المجلس المنزلي.

ولذلك فإنني لا اسهم في اي محفل أدبي أو ثقافي حتى في مدينة السليمانية نفسها. الا انني مازلت أواصل الكتابة، وأمل أن أظل متنعما بهذه النعمة الى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

مع اسرته

تقييم يليق بكاتب تقدمي

ع جلال الدباغ

إن الكاتب التقدمي محمد الملا عبدالكريم المولود في (١٩٣١/٨/١٤....) معروف لدرجة مناسبة في كوردستان والعراق. وينطبق هذا الوصف عليه من عدة زوايا ومجالات ووجهات نظر، حيث أن مناضل صامد وصاحب مواقف معروفه ومشهودة ومثقف تقدمي عبدالكريم ومستوا الثقافي والعلمي وتعمق في اللغة والأدب الكرديين وفي البحوث الأدبية وخاصة في الشعر الكلاسيكي الكوردي إنتخب المجمع العلمي الكوردي عضوا مساعدا في المجمع وخاصة بعد عمل لعدة سنوات في وإطلاعهم على نشاطات وعمل.

وإذا أمعنا النظر اليه بإعتباره صحفيا قديرا نرى أن كاك حم كان حقا صاحب تجربة ثرة وإمكانيات كبيرة حيث عمل في العديد من الجرائد والمجلات وترك أثرا بارزا في العديد من الجرائد والمجلات والنشرات الكوردية والعربية كجريدة زين وآزادي وإتحاد الشعب وطريق الشعب ومجلة الشفق وهيوا وبرايتي والتآخي و(بيري نوى- الفكر الجديد) وريرماي كوردستان ونووسري كورد وهاوكاري وبيان وكوردستاني نوى و الإتحاد...إلخ.

إنه ضليع في اللغتين الكوردية والعربية ويجيد شيئا من الفارسية ومن الجدير بالذكر أن الأخ محمد وإنطلاقا من حرصه على تقديم نصوص خالية من الأخطاء يقوم بنفسه بتصحيح مقالات ونتاجات الأخرى في المطابع.

وهنا حيث نتطرق بإختصار لدور محمد الملا عبدالكريم في النضال السياسي والثقافي ونقيمه عاليا، لا يعني هذا بأنه كان كاملا من جميع النواحي وخاليا من النواقص أو لم يكتب شيئا غير قابل للإنتقاد، كلا أبدا، إنه كغيره إنسان والإنسان معرض للأخطاء والنواقص، إلا أن الشيء الذي إنعكس في حياته ونضاله ونشاطاته و مستواه الثقافي والأدبي و اللغوي وما إنعكس جلاء في دور هذا الكاتب التقدمي المعروف هو الجوانب الصحيحة والجميلة والمشرقة، ونتاجات وإبداعات زاخرة التي لاشك بأن عددا كبيرا من قراء الكوردية والعربية وخاصة من الشبيبة قد إستفادوا منها ومن النموذج اللامع كثيرا.

إننا عندما نقيم الكاتب المعروف الأخ محمد الملا عبد الكريم من بعض جوانب حياته ونضاله ونتاجاته الأدبية والثقافية يجب أن نأخذ بنظر الإعتبار بأن هذا الإنسان العاطفي وذو القلب الرقيق هو إبن تربية عائلة ليست كأي عائلة فإن والد هو (الملا عبدالكريم المدرس) الذي لم يكن فقط عالما دينيا كبيرا في كوردستان والعراق وإنما كان يعتبر عالما كبيرا على مستوى البلدان الإسلامية. وكان ضليعا في العربية والفارسية والكوردية، وباحثا ذكيا في الأدب الكلاسيكي الكوردي، وقد أستوعب بدقة قصائد مولوي ونالي ومحوي وسالم وغيرهم من فطاحل الشعراء الكلاسيكيين، وكان جانبا من بحوثه في هذا المجال أضحت مصدرا إبداعيا هاما وعاملا مؤثرا لإعتزاز شعبنا بأدبنا الكلاسيكي.

وكان المرحوم فاتح شقيقه الأخ محمد أديبا ومناضلا تقدميا بارزا، وكذلك شقيق الأستاذ صلاح هو إنسان مثقف، وشقيقته عالية عبدالكريم أديبة وقاصة مستمرة على كتابة القصة والموضوعات الأدبية والثقافية.

وسبب آخر لنجاح الأخ محمد وتوفير الفرص المناسبة لعمله المنتج هو بدون شك موقف قرينته السيدة شيرين التي تجسد بجدارة دور إمرأة كردية ناضجة ومتجاوبة بكل معنى الكلمة في التعاون والمساندة والخدمة اللازمة لشريك حياتها.

وكما حظي الأخ محمد بتقدير وتثمين المخلصين من أنصار الحقيقة وممثلي الشعب ويستحق الأكثر نتيجة دوره الفعال في النضال والصمود، وفي إغناء المكتبة الكوردية، وفي خدمة الصحافة والثقافة والأدب الكوردي وفي مجالات اللغة وغيرها، فقد تعرضت نتاجاته للنقد اللاذع من لدن بعض الكتاب المحترمين الذين عبروا بوضوح بأنهم لا يشاطرونه الرأي والتوجهات، وإنني أعتقد أن هذا شيء طبيعي، إلا انه تعرض لهجمات ظالمة ولإفتراءات وأكاذيب مفضوحة ولرمي الحجارة المعادية للحقيقة من جانب بعض الخصوم وذوي الأفكار المظلمة والإنتهازيين، مما يبرهن مرة أخرى حقيقة «أن الحجارة ترمى على الأشجار المثمرة، والأشجار غير المثمرة لا تتعرض لمثلها !».

وختاما إنها لمبادرة قيمة وفي مكانها إن تقوم مؤسسة المدى الثقافية بإصدار عدد خاص لنشرتها عن هذا الإبن البار والمخلص للشعب والوطن، كما أقدمت المؤسسة في السابق على مثل هذ المبادرات القيمة والجديرة بالشكر والتقدير لقيامها بإصدار نشرات مماثلة عن كبار الكتاب والمثقفين وفناني شعبنا. ولاشك أن مثل هذ المبادرات تعتبر خدمة جليلة لأدب وثقافة شعبنا التقدمية. لهذا نأمل الموفقية والنجاح الدائم لهذ المؤسسة الثقافية ونتمنى الصحة والعمر المديد لصديقنا العزيز محمد الملا عبدالكريم المدرس.

محمد الملا عبد الكريم وشاعر الكرد الكبير

د.شعبان مزيري
باحث اكاديمي

تحت عنوان الحاج قادر الكويي، رائد النهضة الفكرية في الشعر الكردي محاضرة القاها الاديب محمد ملا عبدالكريم في يوم الاثنين المصادف ٨/ ٥/ ٢٠٠٠ بقاعة المجمع العلمي العراقي / الهيئة الكردية جاء فيها:

ان الادب مرآة صافية للمراحل التي يقطعها الشعب في حياته ويوسع الباحث ان يستدل بالنصوص الادبية على انتمائها التاريخي العام وتحديد المرحلة التي يعبر عنها. وان تطبيق هذه الفكرة على نصوص الادب الكردي الذي كان يقتصر حتى بدايات القرن العشرين على الشعر الغنائي والملحمي والفلكلوري الشفاهي والمدون وكذلك على الأقاصيص والحكايات الشعبية.

ثم قال الباحث يعدّ حاجي قادر الكويي المولود في احدى القرى الواقعة في اطراف كويسنجق في سنة غير معروفة وذلك اواسط النصف الاول من القرن التاسع عشر وقد توفي عام ١٨٩٧م قلت يعد هذا الرجل الفهامة من أساطين الادب الكردي وشعرائه المبدعين.

لقد كان حاجي قادر وهو مايزال طالب علم في المدارس الاسلامية قد توصل ربما بتأثير بصيرته الثاقبة واطلاعه المحدود على بعض مصادر الفكر الاسلامي وادبياته.

وقال الباحث: يذكر الذين كتبوا عن حاجي قادر سواء في مقدمات الطبعات العديدة لاشعاره التي تركها بعده في كردستان أو ارسلها من استانبول أو الذين كتبوا الدراسات الادبية النقدية، انه نزل أول ما نزل في استانبول ضيفا على آل بدرخان باشا الذين كانوا بمثابة العمدة للجالية الكردية الكبيرة المقيمة في استانبول ويقال انه غدا معلماً لاولاد هذه الاسرة وبقي هناك حتى توفي في العام ١٨٩٧ كما يدل على ذلك خبر نشرته جريدة كردستان الجريدة الكردية الاولى.

وحول شعره قال المحاضر: إن أول ما ينهض به حاجي قادر هو الاخذ بيد الشعر نفسه لانتشاله من هذه الاساليب والاغراض الشعرية القديمة المكرسة لخدمة الاغراض التي لاتنتمي إلى حاجات الناس وحياة الشعب بصلة انه يريد الشعر سلاحاً ماضياً لانهاض الروح القومية وسلوك الطريق الجديد في الحياة.. وانقاذ الجماهير الكردية من الخرافات والاباطيل..

وأكد الباحث في محاضرته بان ظهور الشعر القومي في بداياته كانت على يد الشاعر الكردي الكبير احمد خاني.. ويعتبر حاجي قادر الواضع الاول لعمل الفني يدشن مرحلة جديدة وهي المرحلة المسماة بمرحلة ما بعد الاقطاع.

ثم قال طالب حاجي قادر بتطوير مناهج التدريس وتنقيحها من اجل نشر العلم في كردستان دعا لتعليم المراة بمساواتها بالرجل بموجب الحديث النبوي الشريف(اطلب العلم ولو في الصين) (ولافرق بين الرجل والمرأة في مجال التعليم)

وهذا مقاطع من احدى قصائده:

((كل تلك المدائح التي قيلت في الخمرة والحسان

التي سطرت على الاف الدفاتر

مثل خماسية الشاعر نظامي

الذي يحسبه العالم بمثابة الكنز والكيمياء

أو مثل قصة ((شيرين)) الارمنية ((وفرهاد)) النحات.

لو ان الناس حفظوا بدلاً منها اشعار حاجي

لغدوا اليوم اصحاب نفوذ وجاه

أو لياتوا أناساً في عداد اولياء الله)).

وقال الباحث كان الشعر الكردي في عهد حاجي قادر الكويي ابعد ما يكون عن حاجات المجتمع التنويرية الهادفة لنشر الوعي السياسي وإلا فإن الشعر كان له دوره الكبير وما يزال في تربية المجتمع اجتماعيا واخلاقيا.

ويعد كتاب(حاجي قادر الكويي.. شاعر المرحلة الجديدة) في حياة الشعب الكوردي الصادر باللغة الكوردية عام ١٩٦٥ في مطبعة (النجاح) ببغداد لمؤلفه محمد الملا عبدالكريم واحد من الكتب القيمة التي تؤرخ لشاعرنا الوطني.

من هو حاجي قادر:؟

حاجي قادر بن احمد عمر كونبه ت من عشيرة(دره بنديان) ولد في عام (١٢٤٦هجرية/١٨١٥ميلادية) في قرية(كورقه ره ج) التي تقع في جنوب غرب مدينة كويسنجق بمحافظة أربيل .

وفي رواية اخرى كتب اسفل تمثال حاجي قادر الموجود الآن في مسقط رأسه بمدينة كويسنجق انه ولد في(١٢٤٠هجرية،١٨٢٤ميلادية) كان حاجي قادر طفلاً عندما توفي والده واخذته والدته(فاطمة) إلى مدينة كويسنجق وقصدت مسجد المفتي لكي يدرس فيه.

منذ صغره كان متميزاً عن اقرانه من الطلاب ونشطا ومتقدماً عليهم.. اما بخصوص نظرته إلى المجتمع والحياة .. فكان لحاجي نظرة تختلف عن بقية اعلام عصره الذين عاصرهم واتصل بهم من الشيوخ ورجال الدين ولاسيما الذين كانوا يقومون ببعض الأعمال التي لا تتلائم بمركزهم الاجتماعي والديني، منها اخذ الأموال من الفقراء والفلاحين تحت ستار الدين.. ولهذا السبب كان حاجي قادر ينقد تصرفاتهم ولم يسكت عن اعمالهم .. ويطلب منهم الكف عن هذه الاعيب والأعمال الشائنة والمسيئة إلى سمعتهم وسمعة بقية رجال الدين ولهذا السبب حصل فتور بينه وبين بقية الشيوخ المعروفين ورجال الدين في المنطقة التي كان يعيش فيها.. وعندما اشتد الخلاف والتباين في وجهات نظرهم حول بعض المسائل المهمة المتعلقة بالحياة العامة بحيث وصل الحال إلى حد ان قسماً من الاغاوات ورؤساء العشائر ممن كانوا في البداية يدعمون حاجي قادر في انكاره ابتعدوا عنه وتركوه وحيداً ولهذا السبب قرر في عام(١٢٧٠ هجرية/١٨٣٩ميلادية) الرحيل من مدينته كويسنجق والذهاب إلى كركوك وهماك تعرف على الشاعر(كيفي) واتفقا ان يذهبا سوية إلى اسطنبول عن طريق مدينة اربيل ،راوندوز.

حول شعره قال المحاضر: إن أول ما ينهض به حاجي قادر هو الاخذ بيد الشعر نفسه لانتشاله من هذه الاساليب والاغراض الشعرية القديمة المكرسة لخدمة الإغراض التي لاتنتمي إلى حاجات الناس وحياة الشعب بصلة انه يريد الشعر سلاحاً ماضياً لانهاض الروح القومية وسلوك الطريق الجديد في الحياة.. وانقاذ الجماهير الكردية من الخرافات والاباطيل..

حاجي قادر في اسطنبول:

مدينة اسطنبول» مدينة عصرية: وهي ملتقى العلماء والأدباء والمفكرين من أبناء الشعوب كافة والذين كانوا يعيشون ضمن الامبراطورية العثمانية من العرب والترك،والفرس، والكوردن والبربر..وغيرهم.وفي مدينة اسطنبول كانت تروج مجموعة من الصحف والمجلات فيها العديد من المدارس والمكتبات العامة..فضلاً عن ذلك أنها كانت ملتقى الحضارة الشرقية بالحضارة الغربية.ويعرف المؤرخون على رغم الصمت السائد. ان عصر الحداثة انبلج في القرن التاسع عشر حتى مطلع القرن العشرين في ثلاثة مدن كبيرة في منطقة الشرق الاوسط وهي مدينة اسطنبول العثمانية وطهران عاصمة بلاد الفرس القاجارية،والقاهرة ما بعد المملوكية. وفي اسطنبول تعرف حاجي قادر على مدى التطور والتقدم العلمي الذي بلغه العالم فقارن بين ما يعيشه شعبه من الفقر والتخلف فوجد فرقاً شاسعاً بين الحياة في اسطنبول والحياة في منطقته(مدينة كويسنجق) وضواحيها « فهي معدومة من كل وسائل التقدم والتطور العلمي والترف... وفي مدينة اسطنبول تعرف على عائلة بدرخان باشا تلك العائلة العريقة التي لها سجل طويل من النضال ومقاومة الاضطهاد الذي تعارضه السلطات العثمانية بحق الشعب الكوردي.. وأصبح معلماً لاطفال بدرخان باشا،وبقي معهم إلى ان توفي في سنة (١٣٢٣هجرية /١٨٩٢ميلادية) عن عمر ناهز(٧٧) سنة. ودفن في مقبرة(ابو ايوب الانصاري) وقد خلدته جريدة(كوردستان) التي صدر عددها الاول في ٢٢ نيسان ١٨٩٨م في القاهرة ونشر في عددها الثالث مقالاً عنه جاء فيه ((توفي في العام الماضي عالم سوراني يدعى حاجي عبدالقادر هذا الانسان الذي ناضل طوال حياته من اجل المعرفة والعلم وكان ينظم الشعر باللغة الكوردية وتحديداً باللهجة الصورانية.وكتب اسفل تمثاله الموجود الآن في مدينة كويسنجق توفي في (١٢١٤هجرية/١٨٩٧ميلادية) هذا التاريخ يؤكد ما كتبته جريدة(كوردستان) في عددها الثالث المذكور سابقاً.

مضموناته واغراضه الشعرية:

اهتم الشاعر حاجي قادر بالعلم والمعرفة لاهميتها في حياة الانسان وطالب بالتعليم للذكور والاناث ومساواتهم في حصولهم على الثقافة المناسبة لانه يعدّ المرأة نصف المجتمع وان هذه الأفكار التي طرحها لتعليم المرأة سبق بها(قاسم امين) الذي يعده مؤرخو الأدب العربي أول شخص طالب بتعليم المرأة وتحريرها.. لنقرأ ما يقوله حاجي قادر بخصوص ذلك :

((بوجي فه مووية نبي الامين

(اطلب العلم ولو بالصين)

نيرو مى له و حه ديثه فه رقي نى يه .

ترجمتها : أي

لماذا قال النبي الامين محمد(ص)

« اطلب العلم ولو في الصين»

لا فرق في طلب العلم بين الذكور والاناث

انهم متساوون في طلب العلم. كما جاء في الحديث النبوي الشريف.

ثم يقول:

((تو وه ره فيري فه ن به، جيته له وه كاوه ، هيندووه ، ياخو جووه...))

ترجمتها:

تعال وتعلم وليس لك علاقة سواء كان هذا العلم من لدى الكفار او من الهنود او حتى من عند اليهود.

ويضيف قائلاً:

هه ر كورده له بهينى كوللي ميلله ت

بى به هره له خويندن(كتابه ت)

ترجمتها: أي

فقط الكورد من بين الشعوب

محرومون من تعمة القرآة والكتابة.

حاجي قادر وأفكاره الوطنية:.

في مدينة اسطنبول اطلع حاجي قادر على الافكار القومية بعد ان قرأ ملحمة(مه م وزين) وكتب بنفسه بعض الابيات على غلاف مخطوطة(مه م وزين) اضافة إلى ذلك قرأ نتاجات الشعراء الترك المتنورين وإطلع على الأدب الفرنسي والانكليزي عن طريق اللغة التركية التي كانت حينذاك تقوم الصحف والمجلات في مدينة اسطنبول بترجمتها من الادب الاوربي ولاسيما من الأدب الفرنسي كما اتصل بعائلة بدرخان باشا كما ذكر سابقاً.

د. كمال مظهر احمد، د. عبد الرحمن معروف، محمد الزهاوي، محمد الملا عبد الكريم وقرينته

مع الراحل محي الدين زنكنه

في مدينة اسطنبول اطلع حاجي قادر على الافكار القومية بعد ان قرأ ملحمة(مه م وزين) وكتب بنفسه بعض الابيات على غلاف مخطوطة(مه م وزين) اضافة إلى ذلك قرأ نتاجات الشعراء الترك المتنورين وإطلع على الأدب الفرنسي والانكليزي عن طريق اللغة التركية التي كانت حينذاك تقوم الصحف والمجلات في مدينة اسطنبول بترجمتها من الادب الاوربي ولاسيما من الأدب الفرنسي كما اتصل بعائلة بدرخان باشا كما ذكر سابقاً.

ويقول الباحث محمد الملا عبدالكريم في الصفحة(٩٦) ان الشاعر تعرض للاضطهاد اكثر من أي شخص آخر وعلى ايدي السلطات العثمانية في مدينة اسطنبول، ولهذا نما لديه الشعور القومي(الوطني) عندما ايقن بأن السلطات العثمانية تقوم بتطبيق سياسة «فرق تسد» وتمارس شتى أنواع الاضطهاد ضد القوميات الاخرى من العرب، والأرمن والكورد، وقامت ببسط نفوذها على المنطقة الكوردية وتدمير البنية التحتية لمنطقة الكوردستان من اجل ان تبقى فقيرة ومتخلفة ، ولهذا كتب قصائده في الموضوعات الوطنية والقومية.. من أجل دفع ابناء شعبه للاهتمام بلغتهم ونشر الوعي القومي بينهم وهذا الاتجاه كان موجوداً حتى لدى المفكرين العرب أيضاً. وفي احدى قصائده يمدح ابناء شعبه ويقول بأن الكورد كرماء مثل خاتم الطائي عند العرب، وإنهم شجعان وفرسان اشداء.. لايخافون الموت ويقاتلون في ساحات الوغى كابطال مثل(روستم زال) وإنهم كالنمور والاسود يعيشون احراراً بدون خوف.

ويقول وللاسف لت المنطقة الكوردية وقعت تحت سيطرة الامبراطورية العثمانية اولئك السلاطين الذين جعلوا أرض كوردستان ماوى للذئاب والثعالب والثعابين والنمل.

وفي نهاية البحث وتحت عنوان الخلاصة كتب الباحث:من خلال قراءاتي لقصائد هذا الشاعر فإنني استطيع ان اضعه في قمة المرحلة المسماة بالادب عصر نشوء الصحف والمجلات في مدينة اسطنبول بترجمتها من الادب الاوربي ولاسيما من الأدب الفرنسي كما اتصل بعائلة بدرخان باشا كما ذكر سابقاً.

ويقول الباحث محمد الملا عبدالكريم في الصفحة(٩٦) ان الشاعر تعرض للاضطهاد اكثر من أي شخص آخر وعلى ايدي السلطات العثمانية في مدينة اسطنبول، ولهذا نما لديه الشعور القومي(الوطني) عندما ايقن بأن السلطات العثمانية تقوم بتطبيق سياسة «فرق تسد» وتمارس شتى أنواع الاضطهاد ضد القوميات الاخرى من العرب، والأرمن والكورد، وقامت ببسط نفوذها على المنطقة الكوردية وتدمير البنية التحتية لمنطقة الكوردستان من اجل ان تبقى فقيرة ومتخلفة ، ولهذا كتب قصائده في الموضوعات الوطنية والقومية.. من أجل دفع ابناء شعبه للاهتمام بلغتهم ونشر الوعي القومي بينهم وهذا الاتجاه كان موجوداً حتى لدى المفكرين العرب أيضاً. وفي احدى قصائده يمدح ابناء شعبه ويقول بأن الكورد كرماء مثل خاتم الطائي عند العرب، وإنهم شجعان وفرسان اشداء.. لايخافون الموت ويقاتلون في ساحات الوغى كابطال مثل(روستم زال) وإنهم كالنمور والاسود يعيشون احراراً بدون خوف.

ويقول وللاسف لت المنطقة الكوردية وقعت تحت سيطرة الامبراطورية العثمانية اولئك السلاطين الذين جعلوا أرض كوردستان ماوى للذئاب والثعالب والثعابين والنمل.

وفي نهاية البحث وتحت عنوان الخلاصة كتب الباحث:من خلال قراءاتي لقصائد هذا الشاعر فإنني استطيع ان اضعه في قمة المرحلة المسماة بالادب عصر نشوء القومية(الوطنية) في الأدب الكوردي أي ما بعد مرحلة الاقطاع.

حاجي قادر واللغة الكوردية:

في العصر الذي عاش فيه حاجي قادر كانت هناك الكتابة والقراءة باللغة التركية والعربية وقد تعرض الشاعر(نالي) قال في احدى قصائده انه صاحب ثلاث لغات اشارة إلى اللغات العربية، والفارسية، والتركية. اما بخصوص اللغة العربية فكانت الكتابة قليلة والذين كانوا يكتبون بها لا يعدون بعدد أصابع اليد في المنطقة الكوردية،وكانت الكتابة باللهجة الهورامانية التي هي احدى اللهجات الواقعة ضمن اللهجة الكورانية الرئيسية وكذلك كان هناك بعض الشعراء يكتبون باللهجة الكرمانجية الشمالية وان جريدة(كوردستان) تؤكد لنا ان حاجي قادر قرأ ملحمة مه م وزين التي كتبها الشاعر الخالد(احمدي خاني) ونلك في اسطنبول عندما كان معلماً لاطفال بدرخان باشا كما جاء في مقالة نشرت في العدد الثالث منها:((وقد كتب بعض الابيات الشعرية بخط يده على غلاف كتاب(مه م وزين) وقمت بنشر هذه الابيات في جريدتي اكراما واحتراماً للشاعر المذكور.. وإذا ما قرأت هذه الأبيات بدقة سوف تجدها تحمل معاني عظيمة ومفهومة.

((تبدلت الصورة في عصرنا

وإنطفأ لهيب الشعر..

نرغب في الرواية والجريدة

لكن المودة هي العلم

فقدروا هذا الكتاب الذي

لامثيل له في الدنيا

كتب في حياة الشيخ خاني

والنسخة الاصلية بقلمه

وقيمته في نظر الاديب

مثل كنز الجواهر الخالد

عرفت الدول،سوران ، وبوتان ،

بفضل هذا الكتاب

من يضع أسس الشعر الكوردي

من الكورد سوى حاجي وخاني. (انظر مقالة(قراءة في اعداد (كوردستان) أول جريدة كوردية (١٨٩٨-١٩٠٢م) المنشورة في جريدة العراق صفحة آفاق كوردية بالعدد(٥٤٨٢) في ٢٠،٤،١٩٩٤ بقلم شعبان مزيري).فإن اطلاعه على ملحمة(مه م وزين) وتعرفه على الحياة الجديدة في اسطنبول وقراءاته للادب الفرنسي عن طريق اللغة التركية والتي كان الادباء الترك المتنورون يقومون بترجمتها ونشرها في الصحف والمجلات التي كانت تصدر في اسطنبول فضلاً عن اطلاعه على حركة التقدم العلمي والثقافي.. ولهذا السبب فقد دفعه شعوره القومي إلى الكتابة باللغة الام وتطرق إلى فكر القومي ونظم عدد لابأس من القصائد ويقول في احداها:

((كوردى تاخر بلى چى يه عه يبى

هه ر كه لامى حه قه نى يه عه يبى

ترجمتها

قل ما هو العيب في اللغة الكردية

انها لغة لايوجد حقاً فيها أي عيب وقصور)).

وهو في هذه الابيات من قصيدته يخاطب اولئك الاشخاص الذين لايكتبون باللغة الكوردية لاعتقادهم بإنها لغة قاصرة وانها لا تفي بالغرض المطلوب وإن مفرداتها قليلة ولكنه يردّ عليهم ويقول:ما الفرق بين اللغة الفارسية والكوردية التي تحاولون الكتابة بها ولماذا اللغة الفارسية تصلح للكتابة والقراءة ولا يصلح اللغة الكوردية؟.. كما يقول:

((با له كه ل فارسي چ فه رقى هه يه

بوچى ئه و راستە ، بوچى ئه م كه مى يه)).

مع كاتب المقال في الثمانينات

محمد الملا عبد الكريم
عاشق بغداد الوفي

زين احمد النقشبندي

الكتابة عن الاخ والاستاذ محمد ملا عبد الكريم أبو بيارة من الامور التي تستفز العقل وتشتت الفكر لا لشي الا لان حياة هذه الشخصية ثرية ومتنوعة ، غزيرة الانتاج الادبي والفكري ، وصاحبة المواقف الثابتة الكثيرة والمشهودة ، وهو بعد أديب وصحفي وكاتب وباحث ومترجم ومحقق ، وقبل كل هذا هو مناضل صلب له وقفات ومحطات معروفة في سجن السليمانية وكركوك وبعقوبة وبدرة ونقرة السلمان والعمارة وبغداد المركزي والحلة والرمادي وغيرها من المعتقلات والسجون التي كانت معروفة ابان العهد الملكي والجمهوري في العراق ، وقد رافق وتعرف والتقى خلال رحلته الطويلة في هذه المعتقلات الكثير من الشخصيات الوطنية العراقية من ادباء وشعراء وصحفيين وسياسيين ومؤرخين وغيرهم من عرب وكرد وباقي القوميات والاديان والطوائف العراقية .

وقد كان لهذه السنوات التي قضاها في السجون والمعتقلات وما تعرض له من ضرب واهانات وتعذيب نفسي وجسدي ، تأثيرات كبيرة واضحة على صحته ما زال يعاني لغاية اليوم من جرائها ، ولكنه كان طوال تلك السنوات التي امتدت من نهايات اربعينات العهد الملكي مرورا بقيام ثورة ١٤ تموز وقيام الحكم الجمهوري ، ومن بعده حكم الاخوين عارف والبكر وانتهاءا بحكم صدام ، ظل مناضلا حرا صامدا ثابت المبدأ تقدمي العقيدة والمذهب لم يتغير أبدا يقول دائما ما يعتقد ويؤمن به وما يمليه عليه ضميره الحي ولم يسعى الى منصب ولا الى جاه ، وانما كان جل عمله الشاغل الكتابة والقراءة ومتابعة أمور الفكر والادب والسياسة في العراق وخاصة ما يتعلق بابناء جلدته الكرد ، ومن خلال علاقتي به التي توطدت وتطورت بعد ان كبرت وتعرفت عليه عن قرب لانه يكبرني بثلاثين سنة ، حيث كانت قبل ذلك هناك علاقة كبيرة ووثيقة وطويلة لاسرتي خاصة اعمامي وابي مع والده الاستاذ العلامة عبد الكريم بيارة مفتي العراق ، الذي درس على يد جدي الاستاذ الملا عبد الله الشيخ قادر العبابيلي النقشبندي والاستاذ محمد سعيد العبابيلي النقشبندي ، في مدرسة عبابيلي بقضاء حلبجة بالربع الاول من القرن الماضي في بداية دخوله الدراسات الدينية وطلبه الاجازة ، ومن الاشياء المهمة الاخرى ان عمي المرحوم الشيخ عبد القادر الذي كان إمام وخطيب جامع خانقين الكبير هو أول طالب علم تخرج على يد العلامة بيارة في مدرسة بيارة الدينية ، والتي تعد في حينها تعد أكبر جامعة إسلامية بالمنطقة ، وان العلامة بيارة عندما ولد أخي الكبير هو الذي سماه عبد السلام وكذلك انا فقد أسماني محمد ولكن ابي غير اسمي فيما بعد الى الاسم الكردي زين ، وكثيرا ما كان يزورنا في بيتنا خاصة عندما كان يأتي عمي الكبير ماموستا كوره الشيخ محمد من حلبجة الى بغداد وعندما استقر ببغداد وعين مدرسا واماما وخطيب في جامع الاحمدي في الميدان في ستينيات القرن الماضي كان أبي يأخذني مع أخي سلام معه ايام الجمع لزيارته ، وكذلك كنا نزوره في بيته في نفس الفترة، وقد ترجم العلامة بيارة في كتبه وفي اكثر من مكان واشار الى جدي واعمامي وأبي ، وخاصة في كتاب علمائنا في خدمة الدين وكتاب يادي مردان باللغة الكردية ، وكذلك لنا علاقة مع شقيقه المرحوم فاتح والاستاذ صلاح ، وشقيقته الاديبة المناضلة السيدة عالية .

ومن ذكرياتي عن الاستاذ محمد ملا عبد الكريم عندما كان في بغداد ، انه كان كثير السؤال عن الكتب الصادرة حديثا اضافة الى الكتب القديمة ، على الرغم من زياراته الاسبوعية المتكررة لمكتبات شارع المتنبي وسوق السراي ، وحرصه الشديد على زيارة كافة معارض الكتب التي كانت تقام في تلك الايام من قبل وزارة الثقافة والاعلام واتحاد الناشرين العراقيين واتحاد الادباء او جامعة بغداد خلال الثمانينيات والتسعينات ولغاية سقوط صدام ، ومن خلال مرافقتي له أكثر من مرة كنت الاحظ عن قرب مدى المشقة والاذى التي يتحملها جراء هذه الزيارات بسبب المرض العضال الذي اصيب به في عموده الفقري ، ورغم كل هذا فانه كان يقول لي عندما كنت احاول ان اقدم له بعض المساعدة لا تهتم كاكا بسيطة تعلمت على الالم ، وهو بعد له علاقات مع الكثير من كتبي ومثقفي شارع المتنبي مثل الاستاذ الصحفي الكبير سجاد الغازي والاستاذ صادق الجلاد والحاج محمد الخشالي صاحب مقهى الشابندر والاستاذ صباح ابو سوران ، والاستاذ اياد القاموسي ابو عبد الله صاحب المكتبة العصرية والمرحوم المحامي الشهيد برويز المريواني والاستاذ حسام الصفار رئيس اتحاد الناشرين السابق والحاج محمود صاحب تجليد الاهرام الذي ما زال ابو بيارة يحرص على تجليد كتبه عنده وغيرهم ، وقد استمرت هذه العلاقة مع اصدقائه ببغداد ففي كل مرة كنت ازوره في مدينة السليمانية بعد انتقاله من بغداد ، كان يسألني عنهم واحد واحد ويبعث لهم التحيات والسلام ، وبعدما حدث التفجير الاجرامي في شارع المتنبي والتقيته مجيبا لسؤاله عن الشارع والاضرار التي لحقت بمكتبات الشارع وبناياته وذكرت له اسماء الشهداء والجرحى ومنهم ابناء الحاج محمد الخشالي كان الاستاذ محمد مدرار الدموع وانا اسرد اسماء الشهداء واحد واحد رحمهم الله .

ومن الكتب التي ما زال يسألني عنها كلما يراني او يتصل بي او اتصل به كتاب ((فهد بين الاعشاب)) المؤلف والمطبوع بالانكليزية من قبل صحفي بريطاني والذي تم توزيعه بالعراق تحت هذا العنوان المموه الذي يوحي للقارئ انه كتاب يتحدث عن قصة حيوان والحقيقة هي ان هذا الكتاب يعتبر كما يقول الاستاذ محمد ابو بيارة من أهم كتب فهد مؤسس الحزب الشيوعي العراقي ، لانه وضع فيه كل ارائه وتصوراته عن العراق وتاريخ الحزب الشيوعي العراقي قبل ان يتم اعتقاله واعدامه ، وهناك اشارة مهمة الى هذا الكتاب النادر من الاستاذ جرجيس فتح الله في كتاب ((رجال ووقائع في الميزان)) عند حديثه عن كامل قزانجي ومما يؤسف له انه لغاية كتابتي لهذه السطور ، لم استطع العثور على اي نسخة من هذا الكتاب على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتها وسؤالي المتكرر للكثير من المعنيين من مقتني الكتب والمثقفين والحزبيين والاكاديميين .

ومن الاشياء الاخرى التي كنت شاهدا عليها هي قيام الاستاذ ابو بيارة بشراء وجمع الكثير من الكتب وعملها على شكل رزم حيث كان يقوم بارسالها عن طريق البريد الى اصدقائه وطلاب العلم بالخارج وكان يقوم في كثير من الاحيان باخفاء بعض الكتب الممنوعة او المنشورات بين رزم هذه الكتب والمجلات على الرغم من وجود الرقباء والقوانين الصارمة التي كانت خلال فترة حكم صدام ، ومن ذكرياته الكثيرة التي حدثني عنها والتي تستحق ان تنشر في مذكرات اتوقع لها ان تكون ذات اهمية كبيرة في حالة انجازها انه كان له دور في تأسيس تنظيم اتحاد طلبة العلوم الدينية في السليمانية (يكتي قوتابياني ديني) وقيامه باصدار مجلة (دنكي فقي) صوت الطالب الديني التي صدر منها خمسة اعداد ، وكان هذا التنظيم تنظيم مستقل كما ذكر لي الاستاذ محمد وانه اجتمع مع بعض زملائه في تلك الفترة خارج السليمانية وقرروا انشائه وذكر لي انهم كانوا يخبرون الحزب الشيوعي بنشاطاتهم وكذلك اتحاد الطلبة في تلك الايام ، وقد نشر بعض المعلومات عن هذا الموضوع في مجلة بيان باللغة الكردية ومجلة التراث الشعبي باللغة العربية ومن الاشياء المهمة التي قام بترجمتها في بداية عمله بالصحافة عندما كان يعمل مصححا في جريدة الرأي العام لمؤسسها شاعر العرب الاكبر الجواهري بعد ثورة ١٤ تموز وهي جريدة مسائية انه قام بترجمة كتاب (موجز تاريخ الحركة الوطنية في ايران) لمؤلفه الصحفي الايراني التقدمي رحيم نامور الذي توفى في افغانستان بعد هروبه من ايران وعودته أثر الثورة الايرانية على شكل حلقات في هذه الجريدة ، وكذلك من الاشياء المهمة التي قام بها في السنوات الاخيرة هو طبعه لمجموعة مقالاته التي نشرها بعد سقوط صدام ولغاية انتقاله في الشهر الثامن من عام ٢٠٠٦ واستقراره في كردستان في كتاب طبع من قبل دار اراس في اربيل تحت عنوان ((حصاد الاعوام من بعد سقوط صدام)) الجزء الاول فقد حوى هذا المجلد الكثير من المشاهدات ووثق للعديد من الاحداث المهمة والاراء والانطباعات التي كانت سائدة في تلك الايام العصيبة .

ومن الاشياء المهمة الأخرى التي ذكرها لي أثناء زيارتي له في بيته مع أخي سلام لايصال مجموعة من الكتب كان قد طلبها مني منها كتاب فيه كثير من صور السحل والقتل والتمثيل التي حدثت بالعراق في الستينات فذكر لنا أنه كان شاهد عيان أو من الذين استلموا جثة رفيقه المناضل سلام عادل الذي قضى نحبه من جراء التعذيب بعد انقلاب عام ١٩٦٣م ، وكانت الجثة لا يخلوا أي شبر منها من أثار اكثر من ثقب دريل وان عيناه قد تم قلعها واشياء اخرى رهيبة لا يتصورها العقل .

من الاشياء التي كنت شاهدا عليها هي اضطرار الاستاذ محمد أبو بيارة ترك بغداد هذه المدينة التي قد لايعلم الكثير من المقربين منه ما لها في نفسه وما تمثله وتثير من ذكريات وان قراءة بسيطة لما سطرت أنامله من كلمات تبين لنا ، ان في العراق رجال يحبونه حد العشق ولا يتراجعون عن هذا المحراب المقدس ، وعسى ان يعي من يعي ويعلم من لايعلم ان بغداد عاصمة العراق ودرته المضيئة بجيد سفره المجيد ما لها من مكانة ودور في تاريخ نضال الحركة الوطنية العراقية ويستوعب ويفهم مدى الاهمية التي تتمتع بها هذه المدينة الموغلة بالقدم والتي ضربت بها الامثال وقورنت واقترنت بها صفات الترف والدلال والانفة والجمال وليعلم ويقرأ القاصي والداني قصة هذا الاديب معها حيث يقول فيها في مقالته التي نشرها بعد مغادرته لها تحت عنوان (وداعا ... يا بغداد وداعا ، ومرحبا يا كردستان)

(بغداد أيتها المدينة التي ولجت في أحد مداخلها ، لأول مرة مكبل اليدين في الأصفاد، ضمن عصبة من أشباهي من رفقة النضال من أجل الوطن الحر والشعب السعيد ، هذا الهدف الذي مضى على أول ما اتخذته لي شعارا خمسة وخمسون عاما ، وما زال محتفظا بحيويته ، وما زلت والبقية الباقية من أولئك الرفقة ومن غيرهم ، نلهث وراءه ، ويتراءى لي ، وربما لهم كذلك ، انه كنا أقرب اليه يومذاك مما نحن الان .. ولكني أظل اغذ السير إليه مادام في جسدي عرق ينبض بالحياة .

بغداد .. ايتها المدينة التي ولجت فيك ثانية كسجين في طريقه إلى المنفى ، وثالثة في طريق العودة منه ، ولم الجها بدون ان يحجبني نفر من الشرطة الا في المرة الرابعة ، وبعد أكثر من عامين من الاولى .. ودخلتها خامسة باحثا عن لقمة خبز، لأتخذ منها وطنا ثانيا لي ، وهي ترفل في ثياب النشوة بانتصار الثورة ، ذلك الانتصار الذي لم يطل أمده ، فتحول البلد إلى جحيم من نوع جديد ، وتفرقت السبل بأهله ، فأخذ بعضهم يقتل بعضا ، وأخذت السجون والمعتقلات تغص بهم جميعا ، والدجالون والوصوليون والمنافقون والمتملقون يلبسون لبوس الثوار وينطقون باسم الثورة ويضفون على أبنائها الصادقين الحقيقيين ما شاء لهم هواهم من أوصاف منكرة والقاب كاذبة ، حتى بات كثرة من الناس يتحسرون على الأمس الذي أنقضى في حينه غير مأسوف عليه ، ويتمنون لو كان ما يزال هو هو ، ولكن أنى له ان يكونه ، وأنى لعقارب الساعة ان تعود إلى الوراء !

بغداد .. أيتها المدينة التي أطبق علي وعلى الملايين من أبنائها كابوس الفاشية التي حلت باغتيال الثورة وقائدها الذي لم يكن يعرف كيف يقودها ، وصحبه الصادقين الذين لم تكن كلماتهم لتصل إلى مسامعه إلا بالكاد وعندما تشتد به الأزمات والخطوب وليس في أوقات سواها ..

أطبق علينا جميعا فيها ذلك الكابوس ، فما كنت أجد الا بشق الأنفس مكانا آوي اليه ويكون بعيدا عن أن تطاله مخالب الفاشست ، ولم يكد ذلك الليل الذي كان طويلا على قصره، ينقضي حتى عدت أحيا بين جنباتها من جديد ، كما دخلتها للمرات الاولى والثانية والثالثة ، سجينا مقيد اليدين بالاغلال ، محمر الظهر وباطن القدمين بالسياط ، فقضيت في سجونها ومعتقلاتها هي ومدن أخرى سواها على تلك الحال ثلاث سنوات بالتمام والكمال .

بغداد .. ايتها المدينة التي دخلت فيها لاول مرة أو يكاد عالم الصحافة العربية، فعشقت مهنة البحث عن المتاعب وأحببت صنعة اللهاث وراء الحقيقة التي ما كانت لتروق لمن بيدهم الحول والطول ، ولكني وكثيرين غيري ، كلما اشتد أولئك رفضا للاستماع إلى كلمة الحق ، نزداد عنادا في قولها والاصرار عليه .

بغداد .. ايتها المدينة التي عرفني العديد من صحفها الديمقراطية والتقدمية العربية والكردية ، وفيها تعرفت على الكثير من أساطين الصحافة المناضلة وأعمدة الكلمة الحرة وعملت تحت أجنحة العديد منهم ، فغمروني باسداء النصح والتوجيه وشملوني برعاية الزمالة واستفدت من خبراتهم وتجاربهم ، فتربيت كاتبا ومهنيا على أيدي أمثال الاساتذة لطفي بكر صدقي والجواهري ومحمود شوكت وكاظم السماوي ومحمد حسن الصوري وعبد الرحيم شريف وعبد القادر إسماعيل ويوسف إسماعيل وعبد الجبار وهبي (أبو سعيد) وعدنان البراك وعبد المجيد الونداوي وصالح اليوسفي وآخرين سواهم ..

بغداد ايتها المدينة التي تلقيت في أحد قواطع أمنها العام ، وأنا في أول يوم وفي أولى ساعات وصولي اليها ، أول درس في موضوع الحقد الاسود الذي يكنه النظام يومذاك لشعبي الكردي ولبطله الوطني المقدام مصطفى البارزاني ، اذ طلب مني رفيقي ومسئولي السياسي آنذاك ، ضمن من كانوا ساقوهم من السليمانية في أواخر نيسان ١٩٥٥م ، ان أردد على مسامعه بيت شعر للرصافي الخالد كان معجبا به ، وهو يقول :

تعودت ان لا أستنيم إلى المنى وألا أرى إلا بهيئة ثائر

فما كان لأحد زبانية النظام الذين كانوا حولنا ، وكان عملاقا طويل القامة ضخم الجثة وكأنه أحد الأبطال الرياضيين الافارقة الضخام ، وبعد أن أكملت تلاوة البيت الشعري ، ما كان منه إلا ان صفعني على الجانب الأيسر من خدي بكل ما أوتي من قوة ، صفعة أبرقت من شدتها عيناي فبت لا أبصر للحظات معدودات شيئاً ، وهو يقول ((انعل أبوك .. ولأبو ربع برزان)) لحظتها تلقيت أول درس يلقيه علي أستاذ في الروح القومية ، وما كنت فقيرا في هذا الباب أيضا من أبواب فكري السياسي فقد كنت كما أنا الآن ، أمميا وعلى أشد ما تكون الأممية عند المرء ، وقديما قيل : قليل من الأممية يفقدك الروح القومية ، ولكن توفرها لديك يجعلك قوميا صادقا وحقيقيا .

بغداد .. أيتها المدينة التي في أرجائها أدرت وجهي نحو العمل في ميدان خدمة آدب شعبي الكردي ، بعد أن تعلمت الدروس الاولى في هذا الباب في مدينتي السليمانية على يد شاعر كردستان العظيم عبد الله كوران ايام كانت تجمعني وآياه ونخبة طيبة منهم المناضل العنيد إسماعيل حقي شاويس والسياسي الكبير المعروف إبراهيم أحمد والمحامي كمال أحمد صالح والشاعر محمد صالح ديلان وسواهم ، قضية النضال من أجل السلم .. وإلى جانب هذا النضال المجيد كنت معه كذلك في العمل في جريدته اترجم لها الأخبار واصحح البروفات وأخطو خطواتي الأولى في الكتابة الأدبية والصحفية بلغتي القومية وفي الترجمة على صفحات (زين) ، وكان استاذي الأول قبله في العمل الأدبي والدي المرحوم الملا عبد الكريم المدرس الذي كان من أشد المعجبين بالشاعر الكردي المبدع (مولوي) ، وكان قد دون أشعاره عدة مرات ، ووهو الذي شرح ديوان هذا الشاعر فيما بعد ، باسهام معه في هذا العمل من أخي المرحوم فاتح ومني ، كما شرح كثيراً غيره من المؤلفات الفلسفية والدينية .

في بغداد ، وأنا أعمل في مجلة (الإصلاح الزراعي) مترجما إلى اللغة الكردية ، وساعيا وراء شرح أبعاد قانون الإصلاح الزراعي ومفاهيمه للفلاحين الكرد ، كنت اصرف ما قد يتبقى لي من وقت في ساعات الدوام الرسمي ، في تحرير شرح والدي لديوان (مولوي)، وفي تصحيح مسوداته المطبوعة ، وكان ذلك في عامي ١٩٦٠ ، ١٩٦١م ، وقد ساقني انتهاج هذا الخط ، فيما بعد ، إلى تحرير شرح والدي وأخي فاتح لديوان (نالي) ، وإلى تصحيح ديوان (فقى قادرى هموند) والاشتراك مع الوالد في شرح ديوان (محوي) ، وإلى نشر العديد من كتبه الفقهية واللغوية والاجتماعية وغيرها ، وإلى القيام باعمال أدبية متعددة أخرى ، وأنا أعمل بين جنبات المجمع العلمي الكردي ، وفيما بعد عندما ألغي هذا المجمع ، في المجمع العلمي العراقي ..

في بغداد أيضا عملت بدأب في العديد من الصحف والمجلات العربية والكردية .. في (هيوا) وفي (آزادي) بعد أن أنتقلت وآياها من كركوك إلى بغداد ، وفي (صوت الاحرار) و(الثبات) و(الحضارة) و(الانسانية) وفيما بعد في (الفكر الجديد) و(بيرى نوى) و(بيان) و(هاوكارى) وغيرها .

وكان أطول عمل صحفي لي في بغداد وأغزره وأشده أهمية وخصوبة ، ذلك الذي كنت أعمله في (التآخي) ورديفته (برايتي) منذ أن خرجت من السجن بل وقبل ذلك في ١٩٦٧م بعد صدورها بأشهر قلائل وحتى استيلاء السلطة البعثية عليها وتسليمها إلى زمرة منشقة على الحزب الديمقراطي الكردستاني بعد استئناف القتال في كردستان في العام الرابع لتوقيع أتفاقية آذار ،

انها كانت فترة حافلة بالعمل والخبر والتجارب فقد كانت (التآخي) ، بحق ، في ايامها تلك المنبر الصادق للشعب العراقي كله وبجميع توجهاته الوطنية .. شد ما أتمنى أن اوفق يوما إلى كتابة دراسة عن هذه الجريدة منذ أول يوم لها وإلى دورتها الثالثة ، وأمل أن يطول بي العمر لأحقق هذا الأمل المرتجى .

وفي بغداد تعرفت على الكثير الكثير من أدبائها وسائر أدباء العراق ، وفيها أسهمت مع نخبة من الأدباء الكرد في تأسيس أول أتحاد للادباء الكرد في العراق ، هذا الاتحاد المجيد الذي قارعت فيه إلى جانب زملائي وأخص بالذكر منهم الدكتور عز الدين مصطفى رسول والمرحوم الاستاذ عز الدين فيضي ومصطفى صالح كريم وكمال غمبار وجلال الدباغ وكريم شاره زا ومعظم أعضاء المؤتمر بصلابة في وجه أزلام البعث وممثليه الذين كانوا يبغون انتزاعه (أي الاتحاد) من أيدي أصحابه ورجاله الحقيقيين ، فالحقنا بهم شر هزيمة وهم في عز صولتهم الدكتاتورية ولقناهم أبلغ درس وأقواه وأشده ، مما عرض نخبة منا للتطاول عليهم بالسب والشتم وجارح القول وبذيئه من قبل وزير الدولة لشؤون الشمال يومذاك وعرضني أنا بالذات ، فضلا عما شاركت فيه زملائي ، إلى التوقيف والأذى والعذاب في دهاليز الأمن العام في بغداد .

لقد قضيت في بغداد الحضارة والعلم والمجد والنضال الدئوب .. بغداد المناضلين العظام من كل الاحزاب الوطنية والديمقراطية والتقدمية .. بغداد الصحافة الحرة الجريئة والاقلام الابية والافكار النيرة ستة واربعين عاما إلا أشهر قلائل ، مرفوع الرأس وضاء الجبين إلى جانب شعبي الكردي وشعبي العراقي دون أن تلطخ سمعتي الوطنية وماضي الشريف كلمة تزلف واحدة للنظام الفاشي الدكتاتوري العنصري أو تصفيق له أو لرموزه في محفل .. وفي سراديبه وبين أدي محققيه ، دافعت بشرف عن كل من سألت عن رأي فيه وموقفي منه من الاحزاب الوطنية والتقدمية وحركة شعبي التحررية بمختلف أجنحتها .. ولان كان قد قدر لأحد من المواطنين أن يكون قد عثر على ملفي الشخصي في الأمن العامة أو أي دائرة قمعية أخرى ضمن أعمال السلب والنهب التي جرت بعيد سقوط النظام ، فأني اتوسل اليه بكل أخلاص أن ينشره صفحة فصفحة على الملأ .. ذلك لأني وأنا اغادر بغداد التي أدين لها بكل هذه الامجاد الوطنية والادبية والصحفية ، والتي لم تدنسني طوال أقامتي بين جنباتها مذلة الخضوع بأي صورة للطغاة ، أود أن أغادرها مرفوع الرأس بكل معنى الكلمة كما دخلتها أول مرة وأنا أسير بين أدي زبانية عملاء الاستعمار الذين كانوا يحكمونها .

أني أعود إلى أحضان كردستان الدافئة لأواصل النهج الذي أنتهجته طيلة هذه السنين في بغداد . ولان كنت أعمل في كل الأعوام التي مرت علي هنا في بغداد ساعيا بكل جد وأخلاص من أجل الديمقراطية والحرية والخلاص للشعب كله ، ولتعزيز الاخوة الصادقة بين جماهير العرب والكرد والاقليات القومية والدينية ، ومن أجل حق شعبي الكردي في تقرير مصيره بنفسه ، فأنه لعهد علي أن أواصل السير على الدرب نفسه إلى أن يضمني ثرى كردستان الطاهر بين أحشائه جسدا هامدا دون حراك .

فوداعا .. وداعا يا بغداد العزيزة على نفسي ، وداعا يا دجلة الخير ، وداعا يا شوارع العاصمة التي شهدت وثبات الشعب من أجل الديمقراطية والاستقلال الوطني ومن أجل السلم في كردستان .. وداعا يا جامعات بغداد ومدارسها ومراكزها العلمية والادبية ومنتدياتها الثقافية .. وداعا يا مساجدها وكنائسها وقبابها ومأذنها ومناراتها .. يا دروبها وأحيائها وأسواقها الشعبية ، ومعاملها ومصانعها ومزاراتها المقدسة .. وداعا يا جماهيرها الطيبة التي يريد المارقون من كل طيف ولون أن يحرفوها عن الطريق القويم فيجعلوا الاخ يقتل أخاه والجار يذبح جاره ويشعلوها حربا أهلية لا تبقي ولا تذر ..

أودعك اليوم يا بغداد وانت واقعة بين مخالب الارهابيين وسياراتهم المفخخة وعبواتهم الناسفة ، وتتعرضين للقتل العشوائي والخطف والاغتصاب والتهجير المتبادل .

أغادرك يابغداد وعيناي تفيضان دمعا وقلبي يتقطر دما وألما لما آل أليه أمرك من جراء السياسة المجرمة التي سار عليها الطاغية صدام حسين منذ أن تمكن من أن يستبد بالأمر فيها ويجعل الحكم حكرا على نفسه ومرتزقته ، ومن جراء النهج الذي نهجه الاحتلال منذ اليوم الأول لسقوط بغداد ..

أغادرك ، وأنا أتوجه إلى الله أن يوفق المخلصين من أبنائك ، قادة وسياسيين ومواطنين بسطاء ، على رأب الصدع وتحقيق الاخوة الصادقة والمصالحة بين الوطنيين الصادقين والضرب بأيدي من حديد على أيدي دعاة السوء عملاء المتربصين بالمستقبل الديمقراطي العراقي الحر التعددي الفدرالي وأود أن أقول في الختام ، بكل صدق وصراحة ، أنني لا أغادر بغداد خوفا على حياتي ، فالأنسان لايموت في حياته أكثر من مرة والموت الذي قد يفر منه أحد منا فأنه ملاقيه أينما كان ولو في برج مشيد .. كما أنني أحسب نفسي كقاسم مشترك بين العراقيين الشرفاء كافة من كل الاديان والمذاهب والقوميات والطوائف ..

وأخيرا ، فوداعا يا بغداد الأثيرة حقا على قلبي ، ومرة أخرى وداعا يا أهلها الشرفاء الطيبين ، ويا أصدقائي وزملائي ومعارفي وجيراني ، وكل من عرفته فيها أو لم اعرف .. وشكراً جزيلاً من الاعماق لكل من أسهم في ايجاد مكان لي في وطني يؤويني في ظله ، ولكل من ساعدني في تسهيل رحيلي وترحالي وحلولي ..)

وفي الختام فان الذكريات مع الاستاذ محمد كثيرة ، هذه الشخصية التي عانت كثيرا وتحملت وتجرعت آلام كثيرة ولعبت ادوارا مهمة وكانت شاهدة على الكثير من الاحداث التي مربها العراق منذ العهد الملكي ولغاية سقوط صدام .

فتحية لك يا أخي الكبير أبو بيارة ودعائنا لك ان تكون دائما في أتم صحة وعافية والتحية والسلام موصولة إلى السادة القائمين على مؤسسة المدى وخاصة المسؤولين عن اصدار ملحق (عراقيون) وبارك الله بكل الجهود الطيبة المخلصة .

أطبق علينا جميعا فيها ذلك الكابوس ، فما كنت أجد الا بشق الأنفس مكانا آوي اليه ويكون بعيدا عن أن تطاله مخالب الفاشست ، ولم يكد ذلك الليل الذي كان طويلا على قصره، ينقضي حتى عدت أحيا بين جنباتها من جديد ، كما دخلتها للمرات الاولى والثانية والثالثة ، سجينا مقيد اليدين بالاغلال ، محمر الظهر وباطن القدمين بالسياط

محطات في حياة محمد الملا عبد الكريم

ع سلام النقشبندي

– ولد ((حه مه ى مه لا كه ريم)) عندما يكتب باللغة الكردية ويسمونه بالعربية (محمد ملا عبد الكريم) في ١٤ / ٨ / ١٩٣١ م في قرية بيارة التابعة لقضاء حلبجة محافظة السليمانية .

– درس في كتاتيب بيارة على يد شيوخها القرآن وبعض العلوم باللغة الكردية والفارسية بعد ذلك درس على يد بعض طلاب العلم المتقدمين في بيارة .

– قرأ علوم الصرف والشرع الإسلامي تحت يد والده العلامة المرحوم عبد الكريم بيارة رحمه الله و بقى في بيارة لغاية ١٩٥٢م ، وبعد ذلك تحول إلى مدينة السليمانية .

– بدأ يكتب باللغة العربية ، عندما كان في بيارة ونشر في بعض الصحف البغدادية لتبدأ مسيرته الصحفية منذ ذلك الحين .

– أصبحت له علاقة بعد ذلك مع الشاعر الكردي المبدع عبد الله كوران فبدأ الكتابة باللغة الكردية ونشر أول مقالاته و قصائد نثرية في جريدة زين التي كانت تصدر في مدينة السليمانية.

– نشر في جريدة زين باللغة الكردية بعض القرارات الحكومية بعد ان قام بترجمتها بتصرف .

– أصدر في مدينة بيارة مجلة دينية سياسية تحت عنوان (العروة الوثقى) لمدة سنة وكانت تصدر بشكل شهري وقد أخذ هذا الاسم من السيد جمال الدين الأفغاني ، الذي كان من الشخصيات التي أهتم بها كثيراً مع الشيخ محمد عبدة والشيخ محمد رشيد رضا ، حيث كان يقرأ كل ماتقع يده عليه لهؤلاء المشايخ من مؤلفات ويدفع ويشجع الناس لقرائته .

– في سنوات ١٩٤٧ – ١٩٤٨م بدأت أول علاقة له مع أدبيات الحزب الشيوعي فأنحاز لها وأعجب بها وانخرط في تنظيم مدينة السليمانية.

– في بدايات عام ١٩٥٣م أصبح عضوا نشيطا في لجنة (أنصار السلام) في السليمانية إلى أن تم ألقاء القبض عليه وصدر بحقه في ١٧ / ١٢ / ١٩٥٤م حكم بالسجن لمدة عام .

– وفي عام ١٩٥٤م أكمل دراسته الدينية وحصل على أجازة التدريس وكان يفترض عليه أن يلبس العمامة البيضاء حاله حال كل الشيوخ ، ولكن لم تكن له رغبة في ان يحسب على ملة رجال الدين (الملالي) .

– عين معلما باللغة العربية والتربية الإسلامية بعد ان تم الإفراج عنه في مدرسة كويزة في السليمانية ، وبعد ان علموا بالتهمه والسجن طرد من الوظيفة ولم يستلم أجر شهرين لقاء المحاظرات التي ألقاها ، وطلب منه إرجاع راتب الشهر الذي استلمه.

– في شهر نيسان عام ١٩٥٥م تم ألقاء القبض عليه بتهمة انتسابه للحزب الشيوعي العراقي ، وحكم عليه سنتان سجن ، ووضع تحت مراقبة الشرطة لمدة سنة ونصف ، ولكن محكمة الاستئناف غيرت الحكم وجعلته سنة سجن وسنة تحت الإقامة الجبرية ، والمراقبة مع أخذ مبلغ الكفالة العائد لعام ١٩٥٤م ، وبقي في سجن بعقوبة لمدة سنة وسنة تحت المراقبة قضاها في مدينة بدرة .

– اشترك مع مجموعة من الأصدقاء المبعدين إلى هناك في إصدار مجلة باللغة العربية والكردية باسم (كردستان) وعندما علمت بذلك شرطة مدينة بدرة تم أحالة قسم منهم إلى المحكمة وصدر بحقهم حكم بالسجن لعدة أشهر ، جراء ذلك .

– تعرض للعقوبة عندما كان بالسجن بتاريخ ١/ ٧ /١٩٥٥م على أثر هجوم شرطة السجن وشرطة مدينة بعقوبة بتهمة تدمير أثاث السجن وبعد ذلك تم وضع المساجين في غرف انفرادية داخل السجن وأغلقت عليهم الأبواب ، وتعرضوا للتعذيب الشديد ، وأخذت منهم الأقلام والكتب والملابس وباقي الاشياء الضرورية بحجة كونها زائدة وتم ترحيل قسم كبير منهم إلى نقرة السلمان ، و قد كان أحد هؤلاء الذين تعرضوا للتعذيب الأستاذ الشاعر المبدع عبد الله كوران ، الذي علق بالسقف وتم تعذيبه عذاب شديد ، وكذلك منع السجناء من طبخ الطعام ونتيجة لذلك قام السجناء بالإضراب عن الطعام في السجن لمدة استمرت (٢٣) يوم و (١٢) ساعة وعلى أثر ذلك لم يتم إرسالهم إلى نقرة السلمان ، وقد تعرض السجناء بعد ذلك بسبب الطعام الذي أعطي لهم للمرض وقد بقي الأستاذ محمد ملا عبد الكريم في السجن يعاني مع السجناء الباقين في هذا المعتقل الإجراءات التعسفية لغاية قيام ثورة ١٤ تموز .

– وعندما انتهت مدة وضعه تحت الرقابة في عام ١٩٥٦م ، رجع إلى مدينة السليمانية حيث كان متصرفها في تلك الفترة عمر علي الذي كان له مواقف عدائية شديدة من الأستاذ محمد ، فكلما كان يتم الإفراج عنه من تهمة يتهمه بتهمة جديدة ، حيث تم إحالته في تلك الأيام إلى المحكمة العرفية وصادف في نفس الوقت أن تم نقل عمر علي إلى هذه المحكمة بدل القاضي الذي نقل إلى محكمة الجزاء في السليمانية ، وبعد مرور شهرين أصدرت محكمة جزاء السليمانية بحقه عقوبة السجن لمدة عام ، وكفالة حسن السير والسلوك لمدة عام مع أعطاء التعهد المطلوب بذلك .

– عندما كان هو وشقيقه الاكبر فاتح في السجن أصدر الحاكم العسكري عمر علي أوامره بترحيل والده العلامة عبد الكريم بيارة إلى قرية قريبة إلى طوز خرماتو في لواء كركوك ، لغرض تدريس علوم الدين للطلاب في تلك القرية وقد قام العلامة عبد الكريم بيارة بترك هذه القرية واستقال من هذه الوظيفة ، وذهب إلى التكية الطالبانية في كركوك وقابل شيخها في ذلك الوقت ، الحاج جميل الطالباني وبقي فيها مدة.

– وفي الشهر الثامن من عام ١٩٥٧ تم تعيينه في المكتبة العامة في كركوك وبقي في هذه الوظيفة لغاية عام ١٩٥٩م .

– بعد قيام ثورة ١٤ تموز كلف باصدار مجلة (شفق) التي استمرت لغاية بداية ١٩٥٩م ، حيث عين مشرفا عليها ، وقد أصدر ستة أعداد منها .

– في بداية سنة ١٩٥٩م نقل إلى بغداد وتم تعيينه في دائرة الإصلاح الزراعي لغرض إصدار مجلة باللغة العربية والكردية تحتوي مواضيع تتعلق بتلك الوزارة ، وفي نفس الوقت طلب منه الإشراف على مجلة (هيوا) ، التي كانت تصدر من نادي الارتقاء في بغداد ، وقد صدر منها عددين .

– وبعد أشهر نقل من بغداد إلى كركوك للمشاركة في إصدار جريدة (أزادي) التابعة إلى فرع كردستان للحزب الشيوعي ومن ثم نقل هو والجريدة إلى بغداد ، وفي عام ١٩٦١م ، الى ان تم غلق الجريدة .

– وبعد ذلك أصبح مسؤولا عن مجلة (الإصلاح الزراعي) التي كانت تصدر بالعربية والكردية ، وبعد مضي عدة أشهر بدأ انقلاب ٨ شباط .

– وبعد هذا الانقلاب ولغاية ١٧ / ٧ / ١٩٦٤م ، بقي الأستاذ محمد عاطلا عن العمل .

– ثم القي القبض عليه وقضى فترة هذه المحكومية في السجن الرئيس العائد لمحافظة بغداد والواقع في الرمادي ، وفي بدايات عام ١٩٦٦م حكم بالسجن لمدة خمس سنوات وثلاث سنوات تحت مراقبة الشرطة (الإقامة الجبرية) ، ولكنه بقي فقط ثلاثة سنوات في السجن ، وبعد ذلك وفي محاولة من مام جلال الطالباني صدر أمر جمهوري بالعفو عن ما تبقى من فترة سجنه ، بعد أن قضى فقط ثلاث سنوات في السجن ، ولكنه بقي تحت مراقبة شرطة الأمن لغاية حدوث انقلاب ١٧ تموز عام ١٩٦٨م ،

– وبعد خروجه من السجن عمل في جريدة (التآخي) و (برايتى جريدة أسبوعية) وبعد توقفها عن الصدور بعد انقلاب ١٧ تموز ، تم تعيينه في دائرة انحصار التبغ وعمل في مجلة التبوغ.

– بعد صدور بيان آذار عام ١٩٧٠م رجع ليعمل في جريدة (التآخي) ، وأصبح مسؤول عن جريدة (برايتى) الأسبوعية .

– في خريف عام ١٩٧٣م ترك بغداد وذهب إلى موسكو لتعلم اللغة الروسية ، وعند عودته كانت جريدة (التآخي) و (برايتى) قد توقفت بعد أن ألتحق العاملين فيها بالثورة الكردية ، فبقي بدون عمل ، وكان في بعض الأحيان يرسل مقالات إلى صحافة الثورة في جبال كردستان

– بعد أن أصبح الشهيد دارا توفيق رئيس تحرير جريدة (التآخي) أصبح يكتب افتتاحية الجريدة حسب توجيهات دارا توفيق الذي كان يعطيه رؤوس النقاط ، وفي نفس الوقت كان يكتب في (برايتى) . ومع صدور الجريدة الأسبوعية الفكر الجديد (بيرى نوى) التي كانت تصدر باللغة العربية والكردية عام ١٩٧٣م وإلى أن تم إغلاقها عام ١٩٧٨م كان ينشر في كل الأعداد التي صدرت باللغة الكردية فضلا عن مشاركته في الأعداد العربية .

– وفي عام ١٩٧٨م أحيل على التقاعد على صندوق تقاعد الصحفيين ، وبعد ذلك لم يتم تعيينه في أي صحيفة أخرى .

– مع تأسيس المجمع العلمي الكردي ، ترك العمل في مجلة انحصار التبغ وعمل في المجمع العلمي الكردي الى ان تم إلغائه وإلحاقه بالمجمع العلمي العراقي عام ١٩٨٧ حيث أصبح فرع منه.

– وبعد انتقال (الاتحاد) الناطقة بأسم الاتحاد الوطني الكردستاني من السليمانية وبعد عودة صحيفة (التآخي) الناطقة باسم الحزب الديمقراطي الكردستاني ، من أربيل إلى بغداد ، كان يكتب في الأسبوع مرة ، في كل صحيفة له مقال أسبوعي ، وبعد صدور صحيفة الاتحاد في السليمانية كان ينشر فيها بأسم مستعار.

–وفي عام ٢٠٠٦ بعد أن توفى والده العلامة الشيخ عبد الكريم المدرس (بيارة) رحمه الله في بغداد حيث تم دفنه ، أنتقل للعيش مع عائلته إلى السليمانية.

– منذ عام ٢٠٠٩ والى الآن كان يكتب بالاسبوع في صحيفة (ئاسو).

– وفي عام ٢٠٠٧ م عين عضوا عاملا في الأكاديمية الكردية (المجمع العلمي الكردستاني) .

– ١٤ / ٤ / ٢٠٠٩ مرض وما زال طريح الفراش .

–وضع أكثر من ٣٥ كتاب ، وله ترجمة لأكثر من ٣٥ كتاب في مجال الأدب والتاريخ إلى اللغة الكردية والعربية والفارسية .

– له إسهامات صحفية في أغلب الصحف والمجلات العراقية .

– له أكثر من ٤٠٠ مقالة نشرت في الصحف العراقية ، باللغة العربية والكردية .

مع اعضاء اكاديمية كردستان

بعناية وحذر شديدين اخترت الكتابة عن محمد الملا عبدالكريم لانه ينتمي لجيل يصعب نسيانه، اسهم في ارساء الاسس الديمقراطية والحرة للثقافة العراقية .. في مطلع السبعينيات التقينا تحت سقف واحد، كانت البدايات الاولى لي للعمل في الصحافة ، في جريدة الفكر الجديد ، التجربة تلك خلقها بيان اذار 1970 ومنح الصحافة هامشا من الحرية ،وبعض الاحزاب السياسية فرصة اصدار جريدة باللغتين العربية والكردية .

محمد الملا عبد الكريم يقول لبغداد وداعا

ع د. جمال العتابي

استمر صدور الفكر الجديد الى نهاية السبعينيات واحتوت اقلاماً كبيرة ومهمة مثل سعدي يوسف، رشدي العامل، شمران الياسري، محمد كريم فتح الله، فائق بطي، وكانت مشروعا ثقافيا فتح ابوابه واشرعته للابداع، وبقعة التقت فيها الاماني والصبوات لجيل من الشباب بدأ توا يتلمس طريقه نحو الكتابة الجادة في اجناس ادبية مختلفة فانضم للاسرة هاشم شفيق، عبد الله صخي، سامي محمد، شاكر لعيبي ، مخلص خليل وغيرهم

.هل يمقدوري الان بعد كل تلك العقود العجاف ان اعبر بوضوح وكثافة عن منجز (ملا كريم) الذي يمتد الى نصف قرن بالكامل أو ابقى مراقبا انتظر اللحظة المناسبة والزمن يجري سريعا لأسجل حقيقة كنت أمني النفس ان استعيدها خشية الضياع ام ان الحاجة تبرز الان، لاضاءة حياة هذا الباحث المجد بكل حضورها الابداعي ومنجزها ، وسيرورتها التي يزيدها ملا كريم ترسيخا واصالة.

(محمد ملا كريم) شهرته، لا يميل الى ذكر عائلته او نسبه ويكتفي بهذا التواضع على الرغم من انه يمتلك جذره التاريخي المتين فهو نتاج عائلة العلم والدين ونجل العلامة الكبير عبدالكريم المدرس، وبفضل هذه الرموز نال العراق المنزلة الرفيعة في التقدم والازدهار ولانه ابن هذا الطقس الجليل توطدت صلته بالتراث والعصر معا وامتلأ بالحس الانساني وتنوعت تجاربه بتنوع الحياة التي خاضها، نتاج غزير متواصل متنوع بالبحث والمتابعة يجد لحراك المشهدين الثقافي والاعلامي القادر على حسن الاختيار والمؤهل للرصانة الابداعية المتمكن من ادواته بمهارة فائقة.

(محمد ملا كريم) ما زال يحلم بمكان يلتقط فيه الصور المثلى، قرر اخيرا ان يكمل رسم لوحته وهو يقول وداعا لبغداد، لانها ما عادت تتسع لمبدعيها وعلمائها وناسها الطيبين، بغداد التي لم يقايض فيها (محمد)المغريات وظل يجوب شوارعها ومكتباتها او اسواقها ويتطلع الى معالمها ويروي قصص اهلها مدافعا عن فقرائها خارج دائرة المساومات، بغداد والعراق، واحاول هنا قدر المستطاع ان لا انسب ملا كريم الا اليهما، لانهما رمزه الوديع وشبابه واصدقاؤه وثوابته العديدة.

احب بغداد وهو ابن كردستان وظل جزءا من مكوناتها ،عاش فيها مفعماً بمحبتها ،لكنه وهو يرى على ظهرها سيلاً من الدماء تسيح من جروح عميقة اثر طعنة نصل سكين حاد واهوج، يتطلع الى هذا المشهد الدامي من غرفة ذات ستائر خفيفة ضجت برزم الصحف والكتب التي افترشت بلاطات الغرفة الضيقة تنتظر هي الاخرى ان تغادر المكان الذي نبتت فيه.

سألت محمداً وانا احاول ان اجد موطئ قدم بين اكداس ومجلدات الصحف المعدة للرحيل فاجاب: انها ذاكرة الصحافة العراقية جمعتها بعناية وصبر وحذر وخوف من اول الاعداد التي صدرت للعديد من الصحف، انه ارشيف تلك السنوات وتاريخها الذي غاب فيها اصدقاؤه واحدا واحدا، كنز يحلق به عاليا يزيده اقترابا من مبتغاه في سماء شاسعة لا تحدها حدود، فتراه يزداد قلقا اذ يرى انه ما يزال يتطلع الى من يواصل هذا الجهد الرائع والدؤوب ليحميه على الاقل من ان تمتد اليه اياد عابثة او بليدة .

عرفت محمداً بصلابة موقفه فهو ليس من الطراز الذي يعمل بنظرية جبر الخواطر ، لا يخشى في الحق لومة لائم لا يجامل على الحقيقة او يسوام متأن دقيق الملاحظة والعبارة.

اجتاحت جسده النحيل امراض المفاصل وتقوس القامة، الا انه يقاوم وهن الظهر بالانكباب المتواصل على الكتاب، وتحكي عكازه معاناة عاشها ،وان تركت اثارها واضحة في حياته الا انها لم تشطب على احلامه المؤجلة.

(محمد ملا كريم) ظاهرة ثقافية وفكر نير متجدد يحمل من صفاء الروح والعقل هي عدته ومادته، تفرد بتأنيه ودقته وصرامته في البحث فضلا عن موقفه الانساني المنحاز الى قيم الجمال والسلام فلم يهرب من هذا القدر خلال العقود الماضية حين سقط الكثير من المثقفين في الوحل ومسخت السلطة الكثير فكان ينأى بنفسه بعيدا يتحمل الكثير من التبعات لوضوح الموقف وجرأته الى جانب العدالة ورد القمع في كل الازمان فحافظ على نقاء السريرة وخياره الحر الذي كابد من اجله ليبقى.

اخيرا هل يمكن لي القول ان (ملا كريم) وان اختار طريقه للاحتجاج ليواصل رسالته كشاهد للثقافة بعيدا عن ساحات الموت والقتل والعذاب اليومي أثر ان لا يختار الصمت ازاء هذا المشهد المرعب، انا متيقن بأن كل الحرائق لن تستطيع ان تسلب من ذاكرته ربيع بغداد ونهرها ومقاهيها ومنتدياتها الثقافية.

وان احتفت به كردستان، ستظل عيناه ترنو الى بغداد وهي تعيش حياة منكوءة.

جمود محمد الملا عبد الكريم

في تحقيق وطبع الدواوين الشعرية الكردية

د. عادل كرميانى

لاتخلو أمة من الأمم من النخب الثقافية ، وحال المجتمع الكردي شبيه بحال المجتمعات الأخرى . ومن يقرأ تاريخ الشعب الكردي يجد هناك رموز ثقافية – من أمثال ابن المستوفي وابن خلكان وابن سيرين قبل خمسة قرون – كان لها دورها المشهود في عصرها . ونفس الحال مع الشعراء الكرد القدماء من أمثال : بابا طاهر الهمداني في القرن العاشر ، وملا جزيرى في القرن الخامس عشر ، واحمدي خاني في القرن الثامن عشر ، والشعراء نالي وسالم وكوردى وحاجي قادر كويى في القرن التاسع عشر ، الذين تميزو بابداعاتهم في الشعر الكلاسيكي الكردي ، ولكن عدم وجود المطابع وقلة القراء والمتعلمين وعدم وجود النقاد جعلهم يعانون من عدم نشر وطبع نتاجاتهم الشعرية التي ظلت كمسودات محفوظة لدى هذا وذاك من اقرباءهم ومعارفهم ، وجعلتهم يشعرون بعدم وجود من يثمن ابداعاتهم الشعرية ، وهذا هو الذي حدا بالشاعر (نالي) أن ينتقد قراء عصره القليلون ، قائلا :

امضيتُ عمراً ببيع التُحف في ميزان الأدب
قُلت الكثير ، ولم يفهني أحد ، لذا الآن أنا كئيب

هذا الشعور الباطني المؤلم ظل يراود الشعراء الكرد الكلاسيكيون ، بل حتى البعض من الشعراء الكرد المحدثين في القرن العشرين من أمثال : كوران والشيخ نوري الشيخ صالح ورحيم رحمي الهكاري وقدري جان وجكه ر خوين ودلدار وديلان وكامران موكري وفائق بيكه س وآخرون ، ظلوا يعانون من عدم طبع دواوينهم لغاية الربع الأخير من القرن الماضي هذه المرة لأسباب مالية وسياسية وطباعية ، ولكن هذا الحال كان يحزّ في نفس بعض الكتاب والمثقفين الكرد المخلصين ، وفي مقدمتهم الاستاذ محمد ملا كريم الذي كان يدون ويحتفظ بأية

من مِن المثقفين والكتاب والأدباء الكرد - داخل كردستان وخارجها - لايعرف المثقف والكاتب محمد ملا كريم ، الذي عرفناه عن طريق كتاباته كشاعر وكاتب تقدمي ومحرر صحفي وباحث ومحقق مخطوطات شعرية ، وكذلك عرفناه عن طريق أخلاقه وحبه عمل الخير للآخرين ، لدرجة كان يرسل المطبوعات الكردية التي تصدر في بغداد الى المثقفين الكرد

قصيدة تنشر لهؤلاء الشعراء ، ويبذل قصارى جهده للحصول على مسودات قصائدهم متأملاً أن تحلّ عليه فرصة سانحة فيما بعد ، أو أن تنفرج الأمور السياسية وتُزال العقبات المالية حتى يُشمر عن ساعديه ويبادر بطبع ما تحت يديه من مسودات شعرية كردية ثمينة ، بعد أن يقوم بتحقيقها لمفرده أو مع والده العلامة الراحل الملا عبدالكريم المدرس (طيب الله ثراه وأدخله فسيح جناته) . وكان لهما منهجهما في تحقيق المخطوطات الشعرية من حيث شرح الأبيات الشعرية ، وتوضيح معاني بعض المفردات الشعرية ، وكانا يعتمدان على بعض القواميس والمعجمات لهذا الغرض .

مَن من المثقفين والكتاب والأدباء الكرد – داخل كردستان وخارجها – لايعرف المثقف والكاتب محمد ملا كريم ، الذي عرفناه عن طريق كتاباته كشاعر وكاتب تقدمي ومحرر صحفي وباحث ومحقق مخطوطات شعرية ، وكذلك عرفناه عن طريق أخلاقه وحبه عمل الخير للآخرين ، لدرجة كان يرسل المطبوعات الكردية التي تصدر في بغداد الى المثقفين الكرد في بلاد الغربة ، ولهذا الغرض – رغم سوء حالته الصحية – كان يتحمل عبىء المشقة في الوصول من داره في حي الأمانة داخل مدينة الثورة الى موقع دائرة البريد الخارجي في باب المعظم ، بل ويتحمل في أكثر الأحيان مصاريف ارسال تلك الحزمات من الكتب والمجلات والجرائد الكردية .

لقرب دارنا من داره حين كنا نسكن مدينة الثورة ، فقد كنت خلال بعض ايام اعوام التسعينيات من القرن الماضي اتردد على داره ، فلم أجده يوما يعتذر عن استقبال الضيوف ، ولم أجده يوما يُقصر في مساعدة الذين يقصدون مكتبته العامرة بالمصادر الكردية والعربية القديمة والحديثة من كتب ومجلات وجرائد ، بل كان في بعض الأحيان يراجع مسودات كتبهم ورسائلهم الجامعية . وقد سمعت منه عتباً خفيفاً على بعض طلبة الدراسات العليا الكرد من الذين يرهقونه بطلب المصادر ومراجعة مسودات كتاباتهم ، لكنهم يبخلون عليه بتزويده بنسخة من رسائلهم أو اطروحاتهم بعد مناقشتها . وكذلك عاشرت حبه للصحافة الكردية ، ومدى حرصه على أن تخرج الجريدة من دون أخطاء مطبعية ، ولمستُ حرصهُ على طبع مقالاته ، بحيث كان يأبى أن يقوم غيره بمراجعة مسودة مقالاته ويصر على أن يقوم هو بذاته بتصحيح أخطاء طباعة مقالته ، وقد كان له خط جميل واضح في كتابة مقالاته لدرجة كنا نتمنى أن تطبع مقالاته بذات الصورة التي كتبها بها . ورغم أن الاستاذ محمد ملا كريم من عائلة دينية كردية معروفة ، فهو من ابناء العلامة الكردي الراحل ملا كريم بياره (طيب الله ثراه) والذي وصل لدرجة أن يكون المفتي الاسلامي الاول في العراق ، إلا أن الاستاذ محمد كان له دوره النضالي ضمن صفوف الحزب الشيوعي العراقي ، وكان حاملا للأفكار الماركسية والتقدمية ، ومخلصا لها ، لذا كانت هذه الأفكار بين الحين والآخر تشع من داخل اراءه ضمن مقالاته .

عاشرت الاستاذ محمد ملا كريم خلال اعوام ٢٠٠٠-٢٠٠٣ حين كنا اعضاء في الهيئة الكردية داخل المجمع العلمي العراقي ، فاتضح لي بشكل أكثر مدى موسوعيته وألمامه باللغات الكردية والعربية والفارسية ، ولكونه من سلالة عائلة دينية مثقفة انحدرت من منطقة هه ورامان في كردستان العراق ، فقد كان خير من يعرف اللهجة الهورامية ومعاني تلك القصائد الكردية المكتوبة بتلك اللهجة . لذا جاء تحقيقه لديوان (شيرين و خوسرهو) للشاعر الكردي خانـاى قوبـادي التـي أحتـوت علـى (٥٥٢٦) بيت شـعري مكتوبـة باللهجة الهورامية الكردية موفقا بشكل كبير ، والتـي تُعـد مقاربة من حيث التجسـيد الشعري لموضـوع ذات ملحمـة حب (شيرين وفرهاد) للشاعر نظام كنجوي (الكردي الأم ، والأذربايجـاني الأب) التي كتبها باللغة الفارسـية ، والحاوية علـى (٦١٨٨) بيـت شـعري . وبعـد سـنين عديدة من انجازه لمخطوطة هذا الديوان ، قام المجمع العلمي الكردي عام ١٩٧٥ بطبع مخطوطة ديوان (شيرين وخوسره و) الشعري النفيس .

يشير الاستاذ محمد ملا كريم في مقدمتـه الى أنـه بعـد تزويده بنسـخة مـن مخطوطـة الديـوان باللهجـة الهورامـية الكردية من قبـل (احمد بك توفيق بك) ، قام بنشـر نـداء في العدد (١٦٧١) مـن جريـدة (زين) الصـادره في ١٩٦٢/٥/٤ ، لغرض مَـد يد العون لـه من قبل الكتـاب والمثقفـين الكرد من حيث وجود أية مخطوطات أخرى لهذا الديوان النفيس ، ولم يحصل على أية مساعدة سـوى من قبل الشـاعر (كاكه ى فـلاح) الـذي جلب له نسـخة أخرى مـن مخطوطة هذا الديـوان ، لذا أعتمد في تحقيـق هذا الديوان الشـعري على مخطوطتين ، وفي هوامش الصـفحات يوضـح معـاني الكلمـات الهورامـية التـي يعرفهـا ككـردي هورامي ضـليع بلهجـة منطقـة هورامان التـي ولد بين احضانها في ناحية (بياره) . وكمحقق مخطوطـات موضـوعي يعـترف في مقدمتـه باسـتفادته من سـبع قواميس فارسـية وكردية مشـهورة اثنـاء شرحه معاني (٣٢٠٠) مفـردة هورامية واردة في ابيات هذا الديوان الشعري . وكذلك يعـترف بوجـود بعض الـنواقص في هذا الديـوان ، ويطالب القـراء والنقاد أن يـزودوه ويطلعوه علـى اية هفوات أخرى حتى يسـتفيد منها في تنقيحاته للطبعـات الجديدة لديوان هذا الشـاعر الـذي خـدم الأدب الكردي بشكل كبير حين صاغ بشكل ملحمة شعرية قصة الحب الشهيرة هذه .

وكان للأسـتاذ محمـد ملا كـريم دوره الريـادي لوحـده في تحقيـق ديـوان الشاعر (مه وله وى) ، اذ كتب قصائده باللهجـة الهورامـية الكرديـة ، وبنفس الطريقـة قـدم شرحـاً لأبيـات الديـوان ، وكذلـك أوضـح معـاني العديـد مـن المفـردات الهورامـية وغـير الهورامية معتمـدا فيهـا علـى بعض القواميس . والجديـر بالذكـر أن للشـاعر الكـردي مولوى ثـلاث مجاميع شـعرية ضـمها هذا الديوان ، وهي : (الفضيلة) باللغة العربيـة ، (العقيـدة المرضـية) باللغة الكردية ، (الفوائح) باللغة الفارسية .

وللأسـتاذ محمد ملا كريم دوره ايضا في أخـراج ديوان الشـاعر الكلاسـيكي الكـردي المشـهور (نـالى) ، حيـث قام بمراجعـة تحقيق هذا الديـوان من قبل والده العلامة الملا عبدالكريم وشـقيقه فاتح ، وتولى مراحل طبع هذا الديوان الشعري عـام ١٩٧٦ مـن قبـل المجمع العلمي الكردي في بغداد ، وبذلك كان له دوره الريـادي المشارك في تخليد اشعار (نالي) بعد أن تم طبع اشـعار (نالي) خلال السنوات السابقة من قبل آخرين بشكل ناقص .

وللأسـتاذ محمد ملا كريم – بمشاركة والـده العلامة الراحل الملا عبدالكريم المدرس – جهـوده الكبـيرة في طبـع ديوان الشـاعر الكردي (مه حوى) من قبـل المجمـع العلمي الكـردي في بغداد ، حيـث يشـير في مقدمتـه الى اعتماده واستفادته من الطبعة السابقة للديوان الصـادرة عـام ١٩٢٢ ، وبعض المسـودات لـدى أفـراد عائلة الشـاعر محـوى (١٨٣٧-١٩٠٩) . ويشـير الى جهوده المشتركة مـع الشـاعر الراحـل كـوران (١٩٠٤-١٩٦٢) والشـاعر الراحـل (كاكـه ى فـلاح) في تبيـض النسـخة المنقحـة ، وتسليمها في عام ١٩٦٢ لوالده العلامة الملا عبدالكريم المدرس ، ومن ثم اضافة مسـودات تلـك القصـائد التـي حصـل عليها لاحقا الشـيخ محمد حفيد الشاعر محـوى . وفي مقدمتـه ايضـا يشـير الاسـتاذ محمد ملا كريم الى انه في عام ١٩٧٧ ، وقبل طبع هذا الديوان الشامل لقصـائد محوي ، قام على ضـوء شرح والـده للديوان باعداد شـرح ودراسـة جديدة لأبيات الديوان ، ويشير الى انه لهذا الغرض استفاد من اربع قواميس فارسـية وعربيـة لشـرح وتوضـيح معـاني المفـردات الفارسـية والعربيـة الواردة في ديوان الشـاعر الكلاسـيكي الكـردي المشـهور (مـه حـوى) . ومـا يثـير الأنتباه توضـيح الاسـتاذ محمد مـلا كـريم في مقدمتـه الى ان الشاعر محـوى ، رغم كونه من شـيوخ ورجال الديـن المعروفين ، قام بتوجيه تعليقات وانتقـادات لاذعـة لبعض رجـال الدين من الذيـن يسـتغلون الدين الاسـلامي الحنيـف لأغراض لاتتفـق وجوهـر الأسـلام ، ولم يتوان عـن توجيه النقد والتلميح للذين كانوا يناصبوه العداء ويبغضون عليه الحياة .

ويشـير ايضـا في مقدمتـه ، الى أن بعض الغموض الذي يلف معاني بعض مفرداتـه البلاغية يعود الى أن الشـاعر محوى – أسوة بالشعراء الكلاسـيكيين الكرد الآخرين – كان يكتب الى النخبة المثقفة من قراء عصـره . ويشير ايضا الى أن القصـائد الفارسية لهذا الشاعر هـي تكـرار ، من حيـث الموضـوع ، لما طرحه في قصائده الكردية ، وأن بعض المفردات الفارسية الواردة في قصائد محوي لم تكن لتستخدم من قبل الفرس أنفسهم في أيام عصر محوى في القرن التاسع عشر .

وللأسـتاذ محمـد ملا كـريم دوره – مع البروفيسـور د.عزالدين مصـطفى رسـول – في طبع ديوان الشاعر الخالد عبداللـه سـليمان الملقب بـ (كوران) ، المطبـوع عام ١٩٨٠ في بغـداد من قبل اتحـاد الأدباء الكرد وبمسـاعدة مالية من قبل الثري الكردي علي بوسكاني . ففي مقدمتـه يشـير الى أن صـداقته مع كوران تعـود الى عام ١٩٥٢ ، حين كان يتـردد علـى جريـدة (زيـن) في السليمانية ، والتي كان كوران يتولى رئاسة تحريرها . ويوضح ايضا كيف أنه أصبح المصـدر الرئيسـي المعتمد لقصـائد كـوران ، حـين كان يدون في دفتره كل قصـيدة كان كوران ينشرها في أعـوام حياتـه ، وكيف أن الشـاعر كـوران فرح جـدا بعـد انتصـار ثـورة ١٤ تمـوز /١٩٥٨ المجيـدة حـين رأى بأم عينيه قصـائده السـابقة محفوظة في دفـتر مـن قبـل الاسـتاذ محمـد ، وكيـف زوده كـوران في عـام ١٩٦٢ بعـد عودته مـن رحلة العلاج البائسـة الى موسـكو بتلك القصـائد الست التي كتبهـا كـوران خـلال مكوثـه هناك في مستشـفى (برفيخـه) . ويوضـح كـم كان كـوران يتمنى أن يرى بأم عينيه طبع هذا الديوان الشامل بعد أن رأى في موسـكو كيفية الأحتفال بالشعراء ، وكيفيـة الدعايـة لدواوينهـم قبـل طبعهـا وتوزيعها في اسـواق المكتبات . ويشـير ايضـا بأنـه في عـام ١٩٧٨ تم تشكيل لجنـة ثمانيـة مـن ابنـي كـوران الشـاعرين (ئـه زى و هوكر) وابنته القاصـة (هيرو) بالأضافة الى عضـوية كلا مـن د.عزالدين مصـطفى رسـول والشـاعر كاكه ى فلاح ومحمد كـريم فتح الله صـاحب مطبعة الأديب وجـلال الدبـاغ والاسـتاذ محمـد ملا كـريم ، وبعـد تنقيـح الديـوان تكلـف اتحـاد الادبـاء الكـرد بطبعـه ، وبهذا الصـدد يشـير في مقالة له في الذكرى المئويـة لميـلاد كـوران الى ان الاتفـاق كان ينص على اصدار ترجمات كوران للشـعر الاجنبي والقصص الانكليزية في كتاب خاص ، وكذلك اصدار مقالات كوران المنشورة في الصحف والمجلات الكردية في كتاب خاص ، ويشير ايضا الى ان كتـاب المرحـوم ئوميـد ئاشـنا الخـاص بكتابـات كـوران النثرية لا يحـوي كل مقـالات كـوران ، ويشـير ايضا الى ان ديوان كوران الصادر عام ١٩٨٠ لاتحـوي ثـلاث القصـائد منهـا تلك القصـيدة التي يمدح فيهـا الزعيم الراحـل عبدالكريم قاسـم بعد محاولة أغتيالـه ، لكون رئيس النظام السـابق صدام حسـين كان من ضمن المساهمين في محاولة الأغتيال الفاشلة تلك .

لقـد فرحـت كثـيراً حين سـمعت بأنه بصدد التحقيق وانجاز اصدار الطبعة الجديـدة المنقحـه مـن ديوان الشـاعر الكردي المشـهور (سالم) ، رغم مرضه الـذي أقعـده عـن التواصـل الدائم مع المناسـبات الثقافية والأدبية ، فقد كان لحضـوره مثـل تلـك المناسـبات دوره المفيـد في ابـداء تعليقاتـه السـديدة ، والتـي كانت بعيـدة كل البعد عن جرح مشاعر الآخرين ، أو الأساءة لهم .

وختامـا نقـول : لقـد كان للأسـتاذ محمـد الملا كـريم – مع والـده وأخيه فـاتح المرحومـان – دورا كبـيراً في تحقيـق دواويـن مشـاهير الشـعراء الكرد ، ونأمل لجهده في تحقيق ديوان (سـالم) أن يرى النور وهو يعيش بين ظهرانينا ، مع تمنياتنا له بالعمر المديد والصحة الدائمة .

في احدى الملتقيات الثقافية

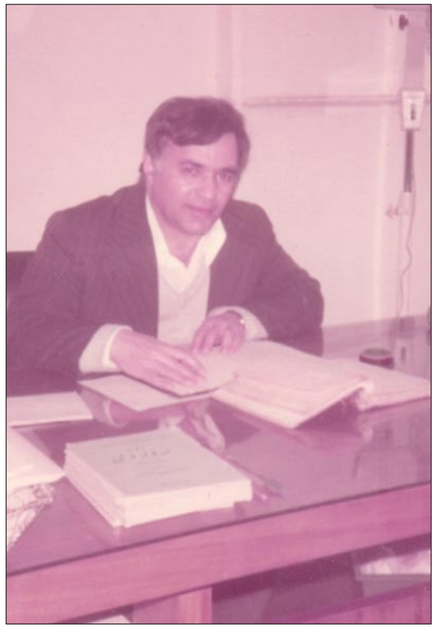

مع عبد المجيد لطفي وحسين الجاف

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2347)
السنة الثامنة
الخميس (29)
كانون الاول 2011

محمد الملا عبدالكريم
الأديـــــب والـــمـــنـــاضـــل

مصطفى صالح كريم

في بداية الخمسينيات من القرن الماضي نزح الى السليمانية قادماً من هورامان شاب في مقتبل العمر يرتدي ملابس طلبة العلم حاملاً معه صرة مليئة بكتب المدرسة العلمية التي كان يدرس فيها عند أبيه الأستاذ الملا عبدالكريم و يخفي بين طيات العصر عدداً من الكتب الماركسية التي كان قد تألف معها عن طريق ارتباطه بالحزب الشيوعي، الى جانب مواصلته الدراسة العلمية في السليمانية صار صديقاً للشاعر الكبير عبدالله كوران الذي كان يشرف على اصدار صحيفة (زين) في السليمانية، وهذه العلاقة شجعته على الكتابة، حيث بدأ بزرع أغصان السلام و بذور المحبة في حقول الكلمات الصادقة.

×كان يقضي لياليه مع الكتب الممنوعة ثم يسرح بخياله ويتصور ان في قريته التي غادرها قسراً، قد انشئت فيها المزارع التعاونية على غرار الكولخوزات والسوفخوزات التي قرأعنها في الكتب التي كان يتسلمها من مسؤوله الحزبي، وكانت ترتسم الابتسامة على شفتيه حين يتراءى امام عينيه الفلاحون يحصدون مازرعوه وان اتعابهم لن تذهب الى جيوب غيرهم، والأرض ستبقى لمن يزرعها!.

× لم يكن ابن القرية يعرف بأنه سيصبح من تلامذة نالي وسالم وكوردي ومحوى ومولوي، كما سيصبح قارئاً نهماً لمكسيم غوركي و انتوني جيخف و تولستوي و بوشكين، ولكنه كان يعلم جيداً انه سيحل ضيفاً على الغرف الضيقة و الزنزانات و الأقبية المظلمة مادام قد اختار هذا الطريق، طريق النضال الذي أدرك للوهلة الأولى بأنه ليس معبداً بالورود و الرياحين.

وهنا ايضاً لم ييأس بل جعل من الأغلال و السلاسل التي كان يراها في أيدي و أرجل المناضلين وينظر الى يديه المكبلتين حين كان يقدم الى المحاكمة، كل ذلك اعتبره مدرسة نضالية أخرى للتعلم و استفاد من علاقاته بالمناضلين الذين تعلم منهم الكثير، وكان يردد أحياناً في نفسه مقولة غوركي الشهيرة «السجن محطة الراحة في سفر الحياة»، وهكذا ازدادت هموم هذا الشاب المكافح، و أصبح على مر الأيام من نزلاء السجون والمواقف، فيما تنقلت اسرته بين السليمانية وكركوك و بغداد و أنه الآن يذكر جيداً حينما كان موقوفاً ذات مرة مع شقيقه المرحوم فاتح المدرس وكان اللواء عمر علي متصرفاً «محافظاً للسليمانية»، فقد أمر بنفي والدهما العالم الديني المعروف الملا عبدالكريم الى قرية مغمورة في قضاء طوز خورماتو على ان يتولى التدريس في جامع القرية، غير ان الشيخ الجليل لم يجد طالباً واحداً ليدرسه، فجمع اغراضه وغادر القرية مستقيلاً من الوظيفة ومتحدياً لأوامر هذا الضابط الذي كانت السلطة العليا قد فوضته لاتخاذ ما يشاء من اجراءات قمعية لخنق اصوات المعارضين. وهكذا التحق المدرس الأب بالكتيبة الطالبانية في كركوك، وكان هذا الانتقال بمثابة محطة جديدة للشاب محمد الذي واصل نضاله السري وقد تعرف على الصحيفة الكردية المركزية «آزادي» وبدأ يكتب لها أحياناً في نفسه مقولة غوركي الشهيرة «السجن محطة الراحة في سفر الحياة»، ايران لتغنوا لها»، فرد عليه محمد الملا عبدالكريم بقوله: «نحن نغني لبلدنا الذي ضحينا الكثير من أجل حريته، فلماذا نتركه ونغني لغيره، «نحن غنينا لشعبنا، طالبنا بسقوط حلف بغداد طالبنا بالتأميم، تحدينا السلطات وشاركنا في الوثبات التحررية» فاستاء الوزير وقال غاضباً: من أنت؟ فقال محمد، انا انسان وبالطبع لهذا الجواب معنى مجازي آخر اي انني انسان ولكنك حيوان فقال الوزير بحدة «انجب»!.

وفي العام نفسه وبناء على إصرار محمد على الكتابة في صحافة الحزب الشيوعي العراقي ألقى القبض عليه مرة اخرى وزج في أقبية الأمن العام، وقد روى لنا بعد اطلاق سرحه انه ذات ليلة تذكر جلساتنا الاخوانية التي كنا نحييها في السليمانية فدمدم بأغنية هزلية كان يغنيها الشاعر المرحوم حسيب القره داغي فتعرض الى ضرب تأديبي وهم يقولون له « شيوعي و جماله يغني»

كأن الشيوعي كتب عليه أن يبكي فقط و يمنع عليه الغناء.

× خلال سنوات نضاله لم يكن يفكر بنفسه وظل عازباً لأنه كان يعرف قدره، غير ان إصرار الرفاق جعله يتصاهر مع أسرة شيوعية معروفة، و اصبحت السيدة شيرين شريكة حياته، قاسمته الحياة بكل معانيها وظلت الزوجة والرفيقة و الممرضة التي سهرت على صحة محمد و اعتنت به، والآن مع ان الأخت شيرين هي الأخرى تعاني من امراض المفاصل الا أنها ظلت حريصة على صحة محمد حيث تسهر بجانبه، لذلك وجب علينا جميعاً- اصدقاء محمد – أن نقدر هذه السيدة الفاضلة و نقدم لها أيات التقدير.

× ومن مواقفه المشرقة الأخرى، بعد الانتفاضة وخاصة بعد ان انتقلت صحيفة (الاتحاد) الى السليمانية كان محمد يبعث لنا مقالات سراً بأسم مستعار لننشرها في تلك الصحيفة السياسية التي كانت ممنوعة على نطاق العراق فيما عدا كردستان وكانت الكتابة للاتحاد في تلك الظروف وبالنسبة له مجازفة كبيرة.

× وفي الختام لابد أن أهنئ وأبارك مؤسسة ابراهيم احمد التي كرمت الأديب محمد الملا عبدالكريم ومنحته جائزة ابراهيم احمد الأدبية.

الحزب الشيوعي الكردستاني الذي كرمه في حفل تكريمي خاص أقيم في اربيل.

منتدى كاويز الأدبي الذي كرمه في مهرجان كاويز العام

مؤسسة سردم للطباعة والنشر التي خصصت للأديب محمد عدداً خاصاً من مجلة روفار

مؤسسة دار المدى لهذه الإلتفاتة الكريمة بتخصيصها ملفاً خاصاً للأديب الكبير محمد الملا عبد الكريم

وأخيراً اود اقول بأن محمداً يستحق ان يكتب عنه اكثر من مجلد، عن نضاله و سلوكه الاجتماعي وبحوثه وتحقيقاته الأدبية ومقالاته باللغتين الكردية والعربية وعن صداقاته وعلاقاته وعن محطات أخرى كثيرة في حياته، وبالنسبة لي اقول: ان ما كتبته كان قطرة في بحر معرفة كاكه محمد الذي ارجو له من صميم قلبي عمراً مديداً وصحة جيدة.

×لا أبالغ إن قلت بأن محمداً يستحق بجدارة كل الثناء والتقدير فهو شجرة مثمرة وارفة الظلال، كاتب بليغ ومترجم أمين ومحقق أدبي ناجح و باحث نشط، وهو شاعر ايضاً» (عند الايجاب) كما كان يقول المرحوم بشير مشير.

× دفعه إخلاصه للأدب وحرصه على ايصال الكلمة الطيبة الى الادباء و الباحثين الكرد المغتربين ان يرسل اليهم عن طريق البريد كلما كان يصدر من النتاج الأدبي الكردي. متحملاً مشاق الذهاب والاياب ودفع الأجور من جيبه الخاص، عدا تحمل المسؤولية.

كيف تعرفت على هذا الرجل؟

لي الشرف أن أكون من أصدقاء هذا الرجل المناضل، وتعود بداية تعارفنا الى الفترة التي كان يعمل في صحيفة (آزادي) في بغداد، حيث تعرفت عليه عن طريق الصديق العزيز محمد كريم فتح الله المعروف بأبي سامان «طيب الله ثراه» ومنذ ذلك الحين واصلنا الدرب معاً ولم تنقطع صلتنا، وقد تلاقينا في «اتحاد الأدباء الكرد» لسنوات عديدة وفي صحيفة (التآخي) ايضاً.وكان موضع ثقة وتقدير الشهيد دارا توفيق الذي كان رئيساً لتحرير التآخي.

× خلال السنوات التي قضيناها معاً في اتحاد الأدباء الكرد كانت له مواقف مشهودة وخاصة في المؤتمر الخامس المنعقد في ايلول عام ١٩٧٨ في اربيل والذي كان متحدياً لسلطة عبد الغفار الصائغ وقيادته أذكر أنه بالتضامن مع الدكتور عزالدين مصطفى كانا نجمين بارزين في قاعة ذلك المؤتمر.

×ذات مرة دعا خالد عبدعثمان الكبيسي الهيئة الإدارية لاتحاد الادباء لاجتماع خاص في اربيل، وكان الكبيسي وزيراً للتنسيق مع هيئات الحكم الذاتي. وفي بداية الاجتماع الذي حضره عبدالغفار الصائغ الذي كان اميناً عاماً للثقافة الشباب ومدير امن الحكم الذاتي كان معروفاً بأسم «ابو علاء» قال الكبيسي، «انكم لا تعيشون مع هموم الوطن، ولا تكتبون للقادسية المجيدة وكأنكم تعيشون في بلد آخر، لماذا لا تذهبون الى

محمد الملا عبد الكريم من قريب

شيرين فرج سعيد

قرينة الاستاذ محمد الملا عبد الكريم

الاستاذ محمد الملا عبد الكريم مع اسرته

قبل كل شي اود ان اشكركم جزيل الشكر على انكم خصصتم الملحق القادم لجريدتكم الزاهرة (المدى) لزوجي وشريك حياتي محمد الملا عبد الكريم المدرس انه ضاهرة حضارية وجميلة ان يكرم او يقدر الانسان في حياته عسى ان يكون ذلك حافزا له لتقديم خدمات اكثر وانتاج اكثر

انني كما اعرف محمدا يعتبر نفسه دائما مدينا لشعبه ووطنه وكل ما قدمه او عمله في المجالات الادبيه والساسيه والوطنية نابع من اعماق قلبه وقناعته الخاصة بل انني سمعته مرات عديدة وهو يتمنى ان يكون قد استطاع ان يقدم اكثر فاكثر لخدمة شعبه ووطنه.

انه مخلص لحد التضحية لافكاره ومبادئه ووطنه وللانسانية جميعا .وهو من الكتاب الاكراد الذين كثيرا ما كتبوا دفاعا عن حقوق المرأة وفي اوائل الخمسينيات ترجم كتاب المرأة العراقية للدكتوة نزيهة جودت الدليمي وفي احدى المداهمات الامنيه لمنزله استولى رجال الامن على الترجمة ولم يعيدوها اليه وما تزال هذه القضية غصة في قلبه كما اسهم بنشاط في تحرير القسم الكردي من مجلة المرأة التي كانت تصدرها رابطه الدفاع عن حقوق المرأة العراقية وهو يطبق افكاره في حياته العملية العائلية والعامة.

يتمنى الخير والسعادة لجميع الناس انسان متواضع وبسيط الحقد والكراهية لايجدان طريقا الى قلبه واهم شئ في حياته صراحته وواقعيته العالية النابعة من اعماق قلبه .انه رجل متفائل ينظر الى مستقبل شعبه وبلاده بغاية الثقة يعشق الاغاني التراثية واحيانا يغني مع نفسه .يحب مكتبته ويعتز بها كثيرا وهي تحت تصرف كل باحث او طالب دراسات يحتاج مصادر انه على اتم الاستعداد لتقديم خدمة الى من يحتاجها وان ما يزعجه هو عندما يستعير شخص من كتابا ثم يضيعه او لا يعيده اليه او لا يحافظ على نظافته ويحب ان يكون له من كل كتاب نسختين يحتفظ باحداهما جديدا في رفوف مكتبته ويضع الثاني للاستعمال او تحت تصرف الاخرين يتالم ويتزعج كثيرا ان يتدخل المحرر او الصحفي في كتابته او يحذف منها مقاطعا حتى يؤكد على النقاط والفوارز لحسن الحظ لم يكن معلما او مدرسا والا لم ينجح احد من طلابه الا بالكاد لديه الكثير من الذكريات الحلوة ايام النضال وايام السجون اشجعه ان يكتبها دائما وهو يعدني بالكتابة لكنه لا يفي بوعده او لعله لا يجد فرصة لذلك نحن صديقان في درب واحد تجمعنا افكار ومبادئ مشتركة.

(٢٣) ثلاث وعشرون سنة من العلاقة الزوجية.العلاقة بيننا تزداد رسوخا وقوة يوما بعد يوم فتحت عيني في عائلة تقدمية كنت احب القراءة وابحث عنها وان احد الاسباب الرئيسية التي شجعتني على الزواج منه حبي واعجابي بكتاباته ومؤلفاته وكنت اعتقد ان زوجة الاديب والكاتب تقضي معظم حياتها بين الكتب وانني سوف اقرأ من الكتب ما يعجبني لكن ومع الاسف الشديد متاعب ومشاغل الحياة وتربية الاولاد كثيرة ومعقدة ومجال القراءة محدود وقليل جدا كان قبل مرضه متعاونا معي ويساعدني في الكثير من الامور المنزلية وتربية الاولاد عندما كنت موظفة اعمل اعمل في احدى دوائر الدولة لكن في سنة ١٩٩٥ احلت نفسي على التقاعد وفق القانون الذي يسمح لام الموظفة بالتقاعد بعد (١٥)خمسة عشرة سنة خدمة وثلاث اطفال قاصرين تفرغت الى الامور المنزلية والاولاد وجميع امور البيت لكي يخصص محمد وقته لمشاغله الادبية لكنه مع الاسف يضيع وقته بامور جانبية اخرى او اعمال غيره لا يهمه ان العمل الذي يقوم به يكون خاصا به لو لغيره المهم في نظره اغناء المكتبة الكردية والشئ الطريف انه عند زواجنا وذهابنا الى ما يسمى بشهر العسل جلب معه حقيبة كبيرة ماذا في داخل الحقيبه؟ لقد كان يداخلها بروفات كتابه(خطوة اخرى عن طريق تصحيح ديوان الحاج قادر كوي) وقال لي لقد جلبت هذا الكتاب لاقوم معك بتصحيح مسوداته وقت الفراغ ومنذ ذلك ولحد الان اشاركه بتصحيح جميع كتبه ومقالاته بالعربية والكردية .والان وهو طريح الفراش منذ ثلاث سنوات واقوم انا والاولاد بخدمته والسهر على راحته وتلبية حاجاته وتلاوة الكتب والجرائد التي تاتي اليه على مسامعه لان نظره ضعيف بالاضافة الى تردي صحته لكنه متفاءل ويامل ان تسمح له ظروفه الصحية العوة الى منضدته ومكتبته ان الحديث عن ابو بيارة يطول والمجال ضيق لذلك اجد لزاما علي ان اكتفي بما ذكرت اشكركم جزيل الشكر .

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير
عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
الاخراج الفني: نصير سليم
التصحيح اللغوي: نوري صباح
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

صديقي محمد الملا عبد الكريم

أ . د . عز الدين مصطفى رسول

محمد الملا و الدكتور
عز الدين مصطفى

محمد الملا عبد الكريم المدرس – هكذا يكتب اسمه عندما يكتب باللغة العربية – وعندما يكتب بلغتنا الكردية يثبت اسمه ب ((حه مه ى مه لا كه ريم)) وهو من كتابنا الذين يكتبون منذ عقود ، وصداقتنا تعود الى عقود أيضا . الى العام ١٩٤٨ بالضبط ، وهو من الاشخاص القلائل الذين جلبهم الفكر الى الحركة الشيوعية ، أما نحن فقد كنا في عهد الصبي ، طلاب متوسطة ، دفعنا الحماس الى التظاهر و الالتفاف حول الحركة الشيوعية وعرفنا فيها حركة عمال وفلاحين ووطنية ، ثم بدأنا نقرأ تدريجيا ونفهم عمق وأبعاد الماركسية .

كان محمد يدرس عند والده (العلامة الكبير) ولم يدخل المدارس الرسمية ، كان أول طلب له مني أن أحصل له في بغداد على كتب السيد قطب ، فقد كان معجبا به وبأفكاره ، ثم تدرج . وقد دخل حركة السلم وهو على هذا النهج ، وفي هذه الحركة تعرف على الشيوعيين، وصار يقرأ ، وبدأت أفكاره تتحول ، حتى وجد نفسه في صفوفنا .

وعندما أعتقل لأول مرة عذب كثيرا وله قصة طريفة مع متصرف السليمانية آنذاك ، الذي كان رجلا رجعيا وطورانيا . قال له : لأعذبنك عذابا نكرا . فأجاب محمد لا لا تستقطع الاية القرآنية . فهذا ما قاله فرعون لموسى – (أنا ربكم الاعلى لأعذبنك ...) فقال المتصرف : أتعني أنك موسى وأنا فرعون . سكت محمد وكان جزاؤه ان ضربه المتصرف ليلا – ٢٠٠ عصا بالفلقة . حكم محمد وقضى السجن و المنفى في (بدرة ، مع الشاعر الاكبر كوران ، ومن الطريف أنه كان ينتهز الفرص من هناك ليراسلني رغم عقبات السلطة الغاشمة .

محمد – كاتب يتقن الكردية و العربية وله يد طولى بالفارسية وتراثها ، كان يطمح في تعلم لغة أوربية ، فأعطي فرصة ذهاب الى موسكو ، ولكننا جميعا نعلم ان اللغة الروسية صعبة ومن العسير ان يتعلمها المرء في مدة سنة ، تعلم المبادئ وعاد ولكن تعلم اللغة صعب بعيدا عن الناس و المجتمع ، فاللغة كما يقول لينين هي وسيلة ربط الإنسان بالمجتمع .

محمد قعيد الآن وينتقل في داره على كرسي نقال ، ولكنه لم يترك القراءة ودام زخم نتاجه . أتمنى له الشفاء ليعود غلى نشاطه الزاخر .

إنه ينسى منذ شبابه ، عذره في أشياء كثيرة ان ذاكرته ضعيفة . ولكن الذاكرة عنده ليست بسيئة . فهو يتذكر أشياء كثيرة . أرجو دفع أمثاله لكتابة مذكرات . فهناك أناس ترى في حياتهم ذكريات ثمينة ونادرة فهو منهم ، وليس مثل بعض من يملكون ذكريات اعتيادية وعامة يملكها كثيرون .

ساعد محمد والده في تدوين واستنساخ دواوين ثمينة ونادرة عند الكرد فأنقذوها من الضياع ، وكان لشقيقه الاكبر المرحوم فاتح يد في هذه الاعمال الثلاثية القيمة . وما عملهم هذا وهو نتاج أب عالم كبير وولديه الا عملا مجمعيا ، ليس من نتاج (مجمع حكومي) بل من نتاج أسرة عالمة .

يمكن ان أكتب كثيرا عن صديق العمر محمد الملا عبد الكريم . ودوره في الصحافة الكردية أيضا . فهو عماد صحف كردية كثيرة .

في أسبوع واحد طلبت (المدى) الغراء مني الكتابة عنه وكانت مجلة (روفار) الكردية الغراء قد طلبت مني قبلها الكتابة عنه ، فكتبت شيئا قد يكون مماثلا وقد يبدو مغايراً .

شكراً للصحيفتين وأمنيتي ان أثبت لمسات وسوانح عن أخي وصديقي ورفيقي محمد في مذكراتي التي هي في طور الصدور بشكل متسلسل .

أتمنى له الصحة و الشفاء وغزارة النتاج اللاحق وشكرا جزيلا (للمدى) وأسرتها العزيزة .

عراقيون
من زمن التوهج